العلماء أسوة وقدوة

تأليف

سماحة آية الله العظمى الإمام

السيد محمد الحسيني الشيرازي

دام ظله

طبع بإشراف ... لجنة أهل البيت (ع) الخيرية

ليش ما أسلّمْ لَهَا روُحي

وأنا روحي متعلّقة بيِها

وأشْلُونْ أخَافْ الموت

وأنا من شيعتها ومحبّيهاَ



الفاتحة على روح المرحومة الشابة :

نسيمة ابراهيم الحدّاد

العلماء أسوة وقدوة

آية اللّه العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

«دام ظله»

طبع بإشراف ...

لجنـــة أهـــل البيـــت (ع) الخيريـــة

٢٥٢٢٣٩٩٨ / ٢٥٢٢٣٤٣

الكويت

الكتاب : العلماء أسوة وقدوة

المؤلف : آية اللّه العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

الناشر : مركز الرسول الأعظم ﷺ بيروت ـ لبنان

الطبعة الاولى : ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حفلت الحضارة الإسلامية في تاريخها الطويل بصفحات مشرقة، ومآثر جليلة، ومواقف فذة سجلها علماء الإسلام في مختلف المجالات الدينية والدنيوية.

وإذا سبرنا سير السابقين من العلماء والفقهاء ونظرنا إليهم بمنظار الواقع لتجلّت لنا حقيقة عظيمة لاتخفى على كل لبيب وهي ان العلماء أفضل المخلوقين بعد الأنبياء والأوصياء، وهذه المنزلة والدرجة التي حازوا عليها لم تعط لهم من لدن شخص أو أشخاص وانما هي فضل عظيم خص بهم في محكم الآيات ومستند الروايات.

قال عزّوجلّ في محكم كتابه:

﴿انما يخشى اللّهَ من عباده العلماء﴾ .[1]

---

(١)فاطر : ٢٨ .

﴿يرفع اللّه الّذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾ .[1]

﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم﴾ .[2]

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ .[3]

وفي الحديث الشريف :

«العلم وديعة اللّه في أرضه ، والعلماء أُمناؤه عليه . . . » .[4]

«الملوك حكّام على الناس ، والعلماء حكّام على الملوك» .[5]

«العالم حيّ وإن كان ميتاً ، والجاهل ميّت وإن كان حياً» .[6]

«النظر إلى وجه العالم عبادة» .[7]

«العلماء باقون ما بقي الدهر» .[8]

«الأنبياء قادة ، والفقهاء سادة ، ومجالستهم زيادة» .[9]

«فابشروا علماء شيعتنا بالثواب الأعظم والجزاء الأوفر» .[10]

---

(١) المجادلة : ١١ .
(٢) العنكبوت : ٤٩ .
(٣) العنكبوت : ٤٣ .
(٤) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٣٦ . عن رسول اللّه ﷺ .
(٥) بحار الانوار : ج ١ ص ١٨٣ وكنز الكراجكي ج ٢ ص ٣٣ . عن الصادق عليه السلام .
(٦) غرر الحكم .
(٧) بحار الأنوار : ج ١ ص ١٩٥ ح ١٤ .
(٨) نهج البلاغة : قصار الحكم ١٤٧ .
(٩) بحار الأنوار : ج ١ ص ٢٠١ ح ١٠ .
(١٠) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٤ ح ٦ . عن علي بن الحسين عليهما السلام .

«إذا كان يوم القيامة وزّن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء»[1].

وهل بعد هذه الخصائص والدرجات حسب آخر؟

فلا عجب أن يكونوا مصابيح الدجى ونجوم السماء يهتدي بهم التائه والضالّ.

ولا عجب أن يكونوا ملاذاً آمناً للمظلومين والمضطهدين من ضروب الزمان وملاحقات السلطان.

فمن يحمل الأمانة بصدق وإخلاص ويبيّن الرسالة بعقل وصفاء ولا يخشى لومة لائم، أحق أن يكون علماً يقتدى به ونوراً يهتدى به، ومنهلاً عذباً يغترف منه العلم والعمل.

وتاريخ السابقين وحياة الحاضرين من العلماء حافل بمواقف الإستبصار ومواطن الذكرى الطيبة ومملوء بالدروس الغنية النافعة حيث اننا أحوج مانكون اليوم إلى الإتّعاظ بهم والإقتداء بسيرتهم والسير على طريقهم والتأسّي بمواقفهم.

ويحق لنا هنا أن نشيد بالإمام آية اللّه العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي «دام ظله الوارف» لما تميّز به من العلم والفقه والتبحّر والتدقيق حيث جمع أكثر من علم ونال أكثر من درجة، معروف بزهده وتقواه وورعه ولايزال مفيضاً على أهل

---

(١) أمالي الطوسي: ج ٢ ص ٥٢٣ ب ١٨ ح ٥٦. عن رسول اللّه ﷺ.

العلم بكثرة مؤلفاته المطبوعه وكتبه المخطوطة والتي حازت على الثناء والشكر والتقدير من مختلف أرباب الفضيلة والسماحة وجاوزت الـ٩٥٠ مؤلفاً[1].

الناشر

بيروت ـ لبنان

١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م

---

(١) راجع كتاب «أضواء على حياة الإمام الشيرازي دام ظله».

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

.. الحياة تجارب، وكلما كان الإنسان أعرف بتجارب الحياة، كان باستطاعته أن يبني لنفسه حياة أفضل، ولذلك يصرّ التاريخ والمؤرخون على تسجيل التجارب حتى يستفيد منها الآخرون في حياتهم وخاصة إذا كان من يرتبط به التجارب عالماً من العلماء، أو عبقرياً من العباقرة.

وهذا الكتاب في حجمه الصغير محاولة متواضعة في هذا المجال الذي لا يستغني عن هذا المجال كل من يريد أن يعيش عيشة الاحرار، ويحاول الحياة بعزّ وسعادة، وخاصة رجال الدين الذين يهمّهم هداية الناس وارشادهم إلى الحياة الفضلى المرضية عند الله تبارك وتعالى، والله الموفّق وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

١

الدعاء والمصالح الإلهية

ينقل عن سماحة آية اللّه العظمى الميرزا الكبير السيّد ميرزا محمد حسن الشيرازي «قدس سره» بأنه أصبحت له بعد قصّة التنباك شخصية عالمية بارزة، بحيث كان السلطان عبدالحميد[1] يثني عليه ويحترمه، فلمّا تمرّض الميرزا مرضه الأخير الذي توفّي فيه، أقام لشفائه المسلمون وفي أنحاء العالم الإسلامي ومنها البلاد العثمانية مجالس الدعاء ووضع القرآن على الرؤوس تضرّعاً إلى اللّه سبحانه وتعالى ليواليه العافية.

ولكن كانت صحّة الميرزا تتدهور يوماً بعد يوم نحو الأسوأ إلى أن حضرت الميرزا حالة الإحتضار ومرّة فتح عينيه فتوجّه من كان حوله وقالوا له: انه وصلتهم من غالب البلاد الإسلامية مثل ايران والعراق والقفقاز والبادكوبة وطاجيكستان وبعض مدن افريقيا

(١) السلطان عبدالحميد هو أحد حكّام الدولة العثمانية.

وغيرها اتّصالات وبرقيّات كثيرة تعبّر عن صادق دعوات أصحابها بالشفاء العاجل لسماحتكم، وقلق الجميع على ما أصابكم.

فلمّا سمع الميرزا ذلك أجابهم بكلمة خالدة سجّلها التاريخ قائلاً: «يا مَن لا يغيّر حكمته الوسائل»[1]، ثمّ غمّض عينيه وردّد الشهادات الثلاث وفارقت روحه الطاهرة الحياة «قدس الله سرّه».

ومن الواضح: انه يلزم علينا كوظيفة شرعيّة أن ندعوا ونتضرّع ونتوسّل إلى الله تعالى ونطلب منه حوائجنا بإلحاح ـ كما في الروايات ـ[2] وفي نفس الوقت مفوّضين إليه أمرنا، لأنّه تعالى هو الأعرف بمصالحنا، فإن شاء أجابنا، وإن شاء عوّضنا، ولكن الحكمة ـ كما قال الميرزا نفسه ـ: قد اقتضت باستضافة الميرزا في رحاب رحمة الله ورضوانه، فجرى القضاء وانتقل سماحته إلى جوار أولياء الله وأصفيائه محمّد ﷺ وآله الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين» وعلى اثره لبس العالم الإسلامي أبراد العزاء وراح يموج بأهله في مجالس الفاتحة على روحه الزكيّة ويقيم محافل التأبين إحياءاً لذكراه.

---

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء الثالث عشر.

(٢) راجع بحار الانوار: ج ٧٧ ص ٤٢ ط طهران.

٢

المواساة شيمة الأوفياء

ذكر واحد من تلامذة المرحوم آية اللّه العظمى الحاج آقا حسين القمي «قدس سره»: انه كان للمرحوم مجلس بحث عامر يضم بين جوانحه كبار العلماء والمراجع المعروفين في عصره.[1]

وكان المرحوم القمي إذا جاءته استفتاءات مهمّة من مقلّديه اغتنم مجلس بحثه وعقد من هؤلاء المراجع الحاضرين في البحث مجلس شورى الفقهاء وطرح عليهم الإستفتاءات وناقشهم في آرائهم وبالتالي كان يخرج من مجلسه هذا بآراء صائبة نتيجة لتلاقح الافكار وتبلور الآراء ويجيب بها مستفتيه.

---

(١) من أمثال السيّد ميرزا مهدي الشيرازي«قده»، والسيد عبد الهادي الميلاني «قده»، والشيخ محمد رضا الاصفهاني «قده»، والسيد الرامهرمزي البهبهاني «قده»، وكذلك الشيخ محمد الشيرازي الذي كان ياتي من النجف الاشرف إلى كربلاء المقدّسة.

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على شموخ فكره، وعلوّ همّته، وطيب نفسه، وحقيقته وواقعيّته، فإنه كان واقعياً إلى أبعد حدّ، حتّى انه ينقل عنه:

بأنّ تاجراً جاء إلى زيارة العتبات المقدّسة من ايران وكان من مقلّديه، فلمّا علم بأن المرحوم القمي مرجعه الكبير يسكن في دار استيجارية وليس له دار شخصية جاء إليه وعرض عليه أن يسمح له حتى يشتري لسماحته داراً ملكية يهبها له ليسكنها.

فلم يسمح له سماحته بذلك معتذراً بأن عليه أن يواسي أضعف الطلبة معاشاً، وكثير من الطلبة لا يملكون داراً ملكية، ومادام يوجد هناك طالب واحد لايملك داراً شخصية، فلا يأذن لنفسه أن تكون له دار شخصية.

فقال التاجر: انّ المبلغ ليس من الحقوق الشرعية وانما هو تبرّع منّي.

فأجاب سماحته قائلاً: نعم وإن كان المبلغ تبرّعاً فإني لا أُحب أن أعيش إلا مواسياً للطلبة الآخرين.

وهكذا كان المرحوم القمي قمّة في أخلاقه وسيرته، فإنه عاش في دار استيجارية ولم يملك لنفسه داراً إلى آخر حياته، وفي نهاية حياته نقل عنه خاصّته:

انه اشتدّ به مرضه حتى أُغمي عليه، فلمّا أفاق التفت إلى ذويه

وخاصّته، وطلب منهم بإلحاح أن يُجلسوه، فتعجّبوا من ذلك ومن طلبه وهو في هذه الحالة، لكنهم لما أجلسوه واستقرّبه المكان شخص ببصره نحو الباب وقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ثم تشهّد الشهادات الثلاث وصار إلى جوار رحمة ربّه، «قدس الله سرّه».

وقد كنا ذهبنا مع الوالد[1] «رحمة الله عليه» لزيارته في المستشفى.

(١) المرحوم آية الله العظمى السيّد ميرزا مهدي الشيرازي «قدس سره».

٣

خاتمة الصالحين

في غداة كلّ يوم من أول الشهر كان المرحوم والدي[١] يعطيني مبلغاً من المال ويأمرني بتسليمه إلى المرحوم الشيخ محمد الكلباسي مقسّم شهريّة المراجع لكي يوزّعه على الطلبة المتواجدين في كربلاء المقدّسة، وكان هذا دأب والدي «قدس سره» في صباح كلّ يوم من أوّل الشهر.

ولكن ذات يوم من الأيام وكان يصادف ٢٨ شعبان من سنة (١٣٨٠هـ) طلبني والدي ودفع لي ما كان يدفعه إليّ من المال صباح كل أوّل شهر، وأمرني بتسليمه إلى المرحوم الشيخ محمد الكلباسي ليوزّعه على الطلبة.

فاستغربتُ الأمر وقلت لسماحته: سيّدي نحن في أواخر

(١) المرحوم آية الله العظمى السيّد ميرزا مهدي الشيرازي «قدس سره».

الشهر الحالي، ولم يحلّ علينا الشهر الجديد بعد.

فأجابني سماحته قائلاً: نعم، واني أعلم ذلك، ولكن ليس عليك إلا أن تسرع بالمال وتسلّمه إلى الشيخ.

ثم أخرج من جيبه بعض الأوراق وكان فيها بعض الإستفتاءات التي كان قد أجاب عليها ودفعها إليّ وأمرني بتسليمها إلى أصحابها.

ثمّ اتّجه إلى الحوض ليتهيّأ إلى الصلاة، وكان الوقت قريب المغرب، تركته وهو يتوضّأ وإذا بصوت شقيقتي يلفتني إليه وهي تقول: أخي يا أخي أُنظر ماذا أصاب والدنا؟!

فأسرعتُ إليه فوجدته مصاباً بالنوبة القلبيّة وهو على الحوض يتوضّأ، فاحتضنته ووضعته على بطانية قد فرشت من أجله، ثم طلبنا له الأطبّاء والدكاترة، فلما أجروا عليه الفحوصات الطبّية أعلنوا أسفهم وعذرهم عن معالجته، لأنّ الفحوصات كشفت عن مفارقته للحياة وهو في أثناء الوضوء وقد غسل يده اليمنى.

وممّا يبدو لي حسب هذه الواقعة العينيّة انّ سماحته كان مستلهماً، أو انه رأى حلماً في منامه يخبره عن ذلك.

وكيف كان: فإنّ هذا الأمر حسب تصوّري لم يكن أمراً عادياً، وانما كان يرتبط نوعاًمّا بالماورائيّات والأمور الغيبيّة، إذ كان ذلك خلاف عادته، وانما كانت عادته كما قلت: أن يدفع لي المال

في الصباح المبكر من أوّل كلّ شهر لأسلّمه إلى الشيخ حتّى يتمّ توزيعه على الطلبة.[1]

(١)ينقل عن الخطيب الشهير المرحوم الشيخ عبدالزهراء الكعبي «رحمة اللّه عليه» انه أخبر سماحة آية اللّه العظمى السيّد ميرزا مهدي الشيرازي «قدس سره» وذلك قبل وفاة السيّد بثلاثة أيام بانه قد رأى في منامه السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ وهي «سلام اللّه عليها» تقول له: ائت ولدنا السيّد ميرزا مهدي الشيرازي وقل له: بانّ أمّك الزهراء تقول لك: انّك ضيف علينا بعد ثلاثة أيام.
فلما أخبر الشيخ السيّد بذلك تهدلت دموع السيّد على خدّيه وأخذ يبكي ويقول: كيف بي ويداي من الحسنات خالية يبكي وهو يكرّر العبارة مراراً، وذلك مع ما كان عليه من الزهد والتقوى وخدمة الإسلام والمسلمين.
وكان كما أخبر به الشيخ الكعبي «رحمة اللّه عليه»، حيث انه لم تمض على السيّد إلا ثلاثة أيام وإذا بالقضية المذكورة تتّفق في آخر ساعات من اليوم الثالث، فيذهب وهو في حالة اسباغ الوضوء إلى لقاء ربّه ليحلّ ضيفاً على أمّه الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ وآبائه الطاهرين «صلوات اللّه عليهم أجمعين».

٤

حافظ القرآن في حماية الله تعالى

هذه القصّة نقلها لنا والدنا «رحمه اللّه» علماً بأنّ سماحته كان حافظاً للقرآن، وكان ملتزماً بأن يقرأ في كلّ يوم بعض أجزاء من القرآن عن ظهر القلب، فتحدّث لنا قائلاً:

نقل لي أحد الصيّادين المحترفين للصيد ذات يوم وقال: اني خرجتُ إلى الصحراء (وأظنّه قال كان ذلك في مدينة سامراء المقدّسة) أبحث عن صيد حتى وجدتُ شيئاً يتحرّك فوجّهت فوهة بندقيتي نحو المتحرّك تصوّراً منّي انه صيد والعجيب انه كلّما حاولت فتح النار باتّجاه الصيد وضغطت على الماشة كانت البندقية لا تطلق النار.

ولكن لما كنتُ أُغيّر الإتّجاه يميناً أو يساراً كانت البندقية تعمل وتطلق النار، ثم لما كنت أعود وأُوجّه فوهة بندقيتي نحو الصيد

كانت البندقية تعود وتتوقّف عن الإطلاق.

كررتُ ذلك مراراً دون جدوى، فقلتُ في نفسي ان هذا لأمر عجيب لا يخلو من سرّ، فعليّ أن أقترب من الصيد وأكتشف سرّ الأمر.

فلمّا اقتربتُ من الصيد فوجئت بأنّه انسان وليس صيداً، فازداد تعجّبي من ذلك، فدنوتُ منه ونقلتُ له القصّة متسائلاً عن السرّ الكامن في عدم عمل البندقية مع سلامتها كلّما وجهتُ فوهتها باتّجاهه؟!

فأجاب: الحقيقة اني حافظ للقرآن وانّ حافظ القرآن هو في حماية اللّه سبحانه وتعالى، ومن كان في حماية اللّه تعالى لا يصيبه أذى.

٥

مقام القرآن

ذكر أحد الوعّاظ المطّلعين هذه القصّة قائلاً:

اتّفق جماعة ـ بُغية الإلتزام بقراءة القرآن في كل يوم ـ على أن يقرءوا القرآن في صباح كلّ يوم (وهذا الأمر كان متداولاً في تلك الأيام ومتعارفاً حيث كان أكثر الناس يتلون القرآن في الصباح المبكر، وكانت بركات تلاوة القرآن أيضاً تعمّهم).

ولكن بقي أحد هؤلاء المتّفقين على قراءة القرآن غير ملتزم باتّفاقه، كما انّ اصرار أصدقائه عليه في الوفاء بالتزامه مع ما كانوا يذكرون له من فوائد تلاوة القرآن في الدنيا وثوابه في الآخرة لم يكن مجدياً في إقناعه، مما سبّب ذلك أن يصرّ عليه أحد أصدقائه في كشف السرّ الكامن وراء ذلك وأخذ يتساءل منه عن سببه.

فأجاب بعد إصرار كثير قائلاً: ان اللّه سبحانه وتعالى قد

سلب منّي التوفيق لتلاوة القرآن، وكلّما أردتُ تلاوته عرض لي ما يصدّني عنه.

فسأله الصديق: ألم تعرف سرّ ذلك؟

قال: بلى.

فقال بتعجّب بالغ: وما هو ذلك؟

فأجاب بامتعاض قائلاً: انه كان لي قرآن جميل، وكنتُ أعتزّ به وأحتفظ به، وأتعاهده كثيراً، وأتلوه دائماً، حتّى صادف اني سافرتُ إلى الحج، فكنتُ أحمله معي وإذا فرغتُ من الطواف في المسجد الحرام قرأت بعض آياته، وذات يوم مررتُ على مكتبة لبيع الكتب فوجدتُ فيها بين الكتب المعروضة للبيع ديوان شعر ليزيد بن معاوية قاتل الإمام الحسين عليه السلام، فأخذتُ الكتاب وجعلتُ أتصفّحه فوجدتُ فيه أشعارا جميلة ففكرتُ في اقتنائه فسألتُ صاحب المكتبة عن قيمته.

فوقع نظره على القرآن الذي كنتُ أحمله معي فأخذه منّي وقلّبه فأعجبه ثم قال: إن كنت تريد الديوان فإني أريد القرآن، ولا أرضى بغيره.

قلت: انك صاحب مكتبة وقد عرضت الكتب فيها للبيع بالثمن، فبعني الديوان بالثمن.

قال: القول كما قلت لك، وأبى أن يبيعني الديوان بالثمن.

فتوقّفتُ قليلاً أفكّر في أمري وقد أُعجبتُ بالديوان، وأخيراً اعترتني فكرة تقول: انه بإمكانك الحصول على قرآن غيره يشبه هذا القرآن، ولكن لعلّك لا تحصل على الديوان لو جزت هذا المكان، وبالتالي استسلمتُ للفكرة وقررتُ على هذه المعاوضة الخاطئة والصفقة الخاسرة، فسلّمتُ إليه القرآن الكريم وأخذتُ مكانه الديوان المشؤوم، وبالفعل فقد أثر شؤمه عليّ منذ ذلك الحين، وسلبني توفيق التلاوة من يوم آثرت ذلك على القرآن وحتّى هذا اليوم.

نعم، هذه بعض الآثار السيّئة لاستبدال مادي لغير القرآن، فكيف بالآثار الوخيمة التي تعقّب الإستبدال المعنوي لقوانين القرآن بقوانين غير القرآن الذي ابتلى به المسلمون اليوم حيث تركوا تعاليم القرآن وأحكامه إلى تعاليم الغرب وقوانينه، فتركوا قانون الحريّات الإسلامية وقانون الأمة الواحدة وقانون الأُخوّة الإسلامية وقانون الشورى وغيرها، ممّا ذكرناها في بعض كتبنا.[١]

---

(١) راجع كتاب «الصياغة الجديدة» و«السبيل إلى إنهاض المسلمين» و«لماذا تأخّر المسلمون» و«انقاذ المسلمين» وغيرها.

٦

المجاهد الذي أصبح ملكاً

يقــال: انّ رجــلاً من المسلـمين كــان قـد اشـتــرك في إحــدى الحروب وأبلى في ساحات الحـرب بلاءاً حسناً، فلمّا جنّ عليه اللّيل وقد أخـذ منه العناء والتعب كلّ مأخـذ قصـد خيـمته ليسـتريح فـيهـا قليلاً وليستعيد نشاطه وقواه حتّى يعيد الكرّة على العدوّ.

فلمّا دخل الخـيـمـة واستلقى لـينام وإذا به يرى قـد علّق على عـمود الخيمـة قـرآناً، وهذا العمـل كان متعـارفـاً آنذاك بين المسلمين حيث كـانوا يعظّمـون القـرآن ويتلون آياته، ويعـملون بأحكـامـه، ويهتمّون بتفسيره، ويتبرّكون به، ويطلبون النصر بسببه، والحفظ من البلايـا ببركتـه، فكانوا ينصـبونه على عـمود الخيمة، وانّي شـاهدتُ ذلك في كـربلاء المقـدّسة أيّام مـحـرّم حين كـانوا ينصـبون الخـيـام في صـحني الإمـام الحسين وأخيـه العبـاس عليهما السلام لإقـامـة العـزاء في أيّام

عاشوراء، فكانوا ينصبون القرآن على عمودها لضمان سلامتها، ولكن اليوم ومع الأسف قد ذهبت تلك العادات الحسنة بذهاب أصحابها وقد تغيّرت البلاد ومن عليها.

فلمّا رأى ذلك الرجل المجاهد القرآن منصوباً على عمود الخيمة وقد استلقى لينام وليزيح عن نفسه أتعاب يومه وما أصابه من نصب وإعياء، فكّر في نفسه قائلاً: لو كان القائد في الخيمة مكان هذا القرآن، هل كنت أسمح لنفسي بالنوم أمامه رغم كل ما أصابني من جهد وعناء؟

ثم قال: كلاّ، كيف والقرآن أعظم من القائد ومن الملك ومن كلّ أحد؟

ثم قام فجلس، فلمّا جلس فكّر في نفسه ثانية وقال: هب لو كان مكان هذا القرآن، القائد في الخيمة، فهل كان يحسن لي الجلوس أمامه، أم كان عليَّ أن أقف رغم كل ما أحسّه من تعب معظماً له.

ثم أجاب في نفسه: بل كنتُ أمتثل بين يديه تعظيماً، فقام ووقف منتصباً بين يدي القرآن.

ثم فكّر في نفسه ثالثة وقال: المثول بين يدي القائد يجب أن يكون باحترام، فكيف بالمثول بين يدي القرآن؟ فوضع يده على صدره ووقف على هذه الحالة بين يدي القرآن حتّى الصباح، وذلك

رغم كلّ ما كان يعانيه من تعب ونصب ومسيس الحاجة إلى النوم والإستراحة.

وفي أثناء وقوفه ذلك أخذته غفوة فرأى في المنام هاتفاً يبشّره ويقول له: انه وذرّيته سينال الحكم والملوكيّة ردهاً من الزمن جزاءاً له على احترامه للقرآن الكريم.

وهكذا كان فقد أصبح هو ملكاً وبقيت الملوكيّة في ذرّيته وعقبه ردهاً من الزمن.

٧

التجلي في سرداب الغيبة

نقل لنا أحد علماء قم المعمّرين وكان قد رأى والدنا[1] وعاشره: بأنّ المرحوم والدنا قد تشرّف بلقاء الإمام الحجّة «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف» مرّتين:

مرّةً: في سرداب الغيبة.

والثانية: في هور صالح في النجف الأشرف.

ولكن لم ينقل لنا والدنا المرحوم من ذلك شيئاً.

قال المتحدّث المذكور في تفصيل قصّة تشرّف والدنا بلقاء الإمام الحجّة عليه السلام في سرداب الغيبة:

بأنّ والدنا (أيّام تشرّفه في سامراء) كان يذهب في الليالي لزيارة السرداب المقدّس ويبيت فيه إلى الصباح مشتغلاً بالعبادة وقراءة الأدعية وتلاوة القرآن، وفي أيّام الجمعة كان يبقى لقراءة

---

(١) المرحوم آية اللّه العظمى السيّد ميرزا مهدي الشيرازي «قدس سره».

دعاء الندبة ثمّ ينصرف بعدها إلى منزله، وحيث كانت سامراء خالية من الزوّار في أكثر أوقاتها، ولم يكن هناك من يأتي لزيارة السرداب المقدّس قال المتحدّث المذكور نقلاً عن والدنا بأنه قال له:

كنت مطمئناً بعدم مجيء أحد لزيارة السرداب المقدّس، ولذلك كنتُ عند تشرّفي للزيارة أغلق الباب على نفسي من الخلف لأكون فارغ البال كامل التوجّه إلى اللّه تعالى في دعائي وتوسّلي بوليّه صاحب العصر والزمان «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف».

وفي صباح يوم جمعة وأنا مشتغل بقراءة دعاء الندبة وقد أغلقتُ الباب على نفسي، وصلتُ في الدعاء إلى هذه الفقرة: «وعرجت بروحه إلى سمائك» وإذا أنا بسيّد جليل وهو جالس عن جنبي يشير إليّ بيده ويقول: «وعرجتَ به إلى سمائك» مكان: «وعرجت بروحه إلى سمائك».

فأعدتُ الفقرة كما أشار عليّ السيد الجليل وواصلتُ قراءتي للدعاء وأنا غافل تماماً عن عمق الواقع، وعن الحقيقة التي اتّفقت لي، وعن إشارة السيّد في تبديل الفقرة، وعن شخصيّة السيّد نفسه، حتّى إذا مضيتُ في مواصلة الدعاء، وانقضت مدّة يسيرة، وإذا بي ألتفتُ إلى نفسي متسائلاً: ياترى ومن كان هذا السيّد الجليل؟

ومن أين دخل السرداب المقدّس؟

أليس قد أغلقتُ الباب على نفسي بحيث لا يستطيع أحد الدخول إليه؟ ألم أطمئنّ بعدم وجود أحد في السرداب المقدّس؟

وأخذت هذه الأفكار تساورني وتدور في نفسي وتقودني إلى معرفة الواقع وكشف الحقيقة، هذا وقد أخذتني القشعريرة كل مأخذ وتركت أعضائي ومفاصلي ترتجف بشدّة، وقلبي يدقّ باضطراب وقوّة، حتى إذا استطعتُ أن أُحوّل وجهي إلى المكان الذي كان السيّد الجليل قد جلس فيه لارى محيّاه، لم أر أحداً، وكلما فتشتُ عنه لم أجد في السرداب المقدّس لاحد شخصاً، فاطمئننتُ إلى انه لم يكن إلاّ سيّدي ومولاي صاحب العصر والزمان «أرواحنا له الفداء».

هذا ولا يخفى: ان الفقرة في دعاء الندبة منقولة بالوجهين: «وعرجت بروحه...» و«وعرجت به...».

أمّا وجه: «وعرجت به...» فواضح وعليه اتّفاق الإماميّة، اضافة إلى اعتراف العلم الحديث به وإثبات وقوعه، لأن اللّه تعالى عرج بنبيّه روحاً وجسماً إلى سمائه، إذ المعراج كان معراجاً جسمانيّاً وليس معراجاً روحيّاً فقط كما يتّفق للنائم الذي يرى الأحلام في منامه.

وأمّا وجه: «وعرجت بروحه» ـ لو كان النقل صحيحاً ـ فليس معناه: العروج بالروح دون الجسم، بل معناه: العروج بالجسم

والروح معاً، لكن تلك الروح الخاصّة التي خصّها اللّه تعالى بنبيّه والمعصومين من أهل بيته «صلوات الله عليهم اجمعين» وبتلك الروح القدسيّة استطاع رسول اللّه ﷺ أن يعرج بجسمه إلى السماء وأن يرى ملكوت السماوات والأرض.

هذا إضافة إلى انّ المتعارف عند أهل اللغة واللسان العربي انهم احياناً يطلقون كلمة «الروح» ويريدون بها الجسم والروح معاً، كما ويطلقون «الجسم» ويريدون به الجسم والروح معاً أيضاً، فمثلاً لو اتكى شخص على أحد يقول له: لا تجعل روحك عليّ، و يقولون: أنا جئت بروحي، أو ذهبتُ بروحي وهكذا.

٨

مع صاحب المستدرك

نقل والدنا المرحوم عن صاحب مستدرك الوسائل الحاج الميرزا حسين النوري «قدس اللّه سرّه» انه قال:

عندما كنتُ في منطقة «نور» كنتُ أذهب احياناً إلى الصحراء وأستفيد من هدوئه وسكونه للفكر والمطالعة، وفي تلك المنطقة كان الفلاّحون يصنعون حسب عادتهم غرفاً في مزارعهم ليعيشوا فيها أيام الحصاد، وفي غير تلك الأيام كانت الغرف خالية.

فلما كنت أخرج إلى الصحراء كنت آخذ معي بعض اللوازم والحاجيات وأنفرد في إحدى تلك الغرف وأتفرّغ فيها للمطالعة والتأليف، وفي الليل كنت أقفل على نفسي باب الغرفة من الداخل وأجلس تحت ضوء المصباح وأستمرّ في التأليف والتصنيف.

وذات ليلة رأيتُ ان قفل الباب ينفتح من تلقاء نفسه، في البدء

تصوّرت ان هبوب الرياح وضغط الهواء أدّى إلى انفتاح الباب ولكن اطمأننت أخيراً بأن الهواء لايستطيع فتح الباب من الداخل فاستغربتُ كثيراً.

وبينا أنا كذلك وإذا بي أرى شخصين جميلين يرتديان ملابساً بيضاً يدخلان عليّ.

فلمّا دخلا سلّما عليّ وقالا متسائلين: بماذا مشغول أنت أيها الشيخ؟

قلت في جوابهما: أنا مشغول بالتأليف والتصنيف.

فقالا: وماذا كنت تكتبه الآن؟

قلت: كنت الآن مشغولاً بكتابة خطبة الرسول ﷺ في يوم الغدير، يوم نصب رسول اللّه ﷺ وبأمر من اللّه تعالى علياً أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمّة الأحد عشر من بنيه عليهم السلام أوصياء وخلفاء من بعده، وأكمل اللّه تعالى بهم الدين وأتمّ علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً.

ثم التفتُّ إليهما وسألتهما عن حالهما وسبب مجيئهما ودخولها عليّ؟

فأجابا: بأنّهما من الجنّ المؤمنين باللّه ورسوله، والمعتقدين بولاية أميرالمؤمنين والأئمّة الأحدعشر من بعده «صلوات اللّه عليهم أجمعين»، ثم طلبا منّي أن أقرأ عليهما الخطبة.

فلما قرأته عليهما أطرقا برأسهما يستمعان إليه، ثم رفعا رأسهما وقالا بعد أن نظر أحدهما إلى الآخر: أحسنت أيها الشيخ، لقد ذكّرتنا بيوم الغدير وما جرى فيه، ونزيدك علماً بأنّا كنّا قد حضرنا غدير خم يوم ألقى النبي ﷺ هذه الخطبة على المسلمين، وسمعناها منه كاملة.

ثم انهما أخذا يقرءان الخطبة على ما سمعاها، فكان في ما قرءاها مع ما كتبه الشيخ بعض الإختلاف اليسير.

ثمّ واصل والدنا المرحوم حديثه قائلاً: بأنّ الحاج النوري «قدس سره» لّما سمع الخطبة منهما ورأى الإختلاف اليسير في قراءتهما عن الذي كان قد كتبه اشار إلى ذلك اليسير في هامش الكتاب تحت عنوان «نسخة بدل».

نعم، الجنّ خلق من خلق اللّه تعالى وقد أنزل تعالى في كتابه الكريم سورة باسم سورة «الجنّ» وهم خلق كالإنسان فيهم مؤمن وفيهم غير ذلك، لكنهم يمتازون بطول العمر، وبلطافة الجوهر، وبقدرتهم على التشكّل بأشكال مختلفة يظهرون بها لبعض الناس، وغير ذلك ممّا هو مذكور في شأنهم.

٩

في طاعة المؤمن

كان المرحوم السيّد محمّد الصدر «قدس سره» من العلماء الأبرار، والمهذّبين الأخيار، وكان يصلّي في مسجد جامع بمدينة كربلاء المقدّسة يسمّى بمسجد العطّارين والتجّار.

نقل انه كان يحضر أيام دراسته مجلس درس العالم الجليل الحاج ميرزا حسين الحاج ميرزا خليل في النجف الأشرف، وذات يوم جاء شخص مقبلاً على الأستاذ بعد أن أكمل سماحته درسه وقال له: ان الجنّ يؤذونه ويقذفون الحجارة على منزله واستنجد بسماحة الميرزا وطلب منه أن ينقذه من هذه المشكلة.

فقال سماحة الميرزا له: لاعليك، اذهب واصعد إلى سطح دارك وقف أمام القبلة وقل: أيّها الجنّ، ان الحاج الميرزا حسين بن الحاج ميرزا خليل يقول لكم: لاتقذفوا الحجارة في بيتي وامنعوا

عنّي الذين يفعلون ذلك منكم.

فذهب الرجل وعاد بعد أيّام يتشكّر من سماحة الميرزا مخبراً إيّاه: بأنّ الجنّ قد امتنعوا عن أذاه، وتوقّفوا عن قذف داره بالحجارة.

يقول المرحوم السيّد الصدر: تعجّبنا من ذلك كثيراً، ولذلك لما ذهب الرجل أقبلنا على أُستاذنا وقلنا له متسائلين: وهل الجنّ يا سماحة الأُستاذ مسخّرة لكم ومطيعة لأوامركم؟

أجاب الأُستاذ قائلاً: لا.

فازداد تعجّبنا وقلنا: إذن كيف أثّر يا سماحة الأُستاذ كلامكم فيهم؟

قال: انّ لذلك قصّة طريفة.

فسألناه أن يقصّها علينا، فلبّى طلبنا وقال:

نعم، كنا نتشرّف بعض ليالي الأربعاء إلى مسجد السهلة، وكان في المسجد سرداب عميق ذو درجات كثيرة ينتهي آخره إلى بئر، وكنتُ إذا أردتُ الإنفراد بمناجاة اللّه تعالى، والإنعزال عن ضوضاء الناس، أذهب إلى ذلك السرداب للصلاة والعبادة، وكنتُ أغلق الباب على نفسي من الداخل وأبيت إلى الصبح مشتغلاً بالصلاة، وفي إحدى الليالي وقد كنتُ في ذلك المكان وأنا مشتغل بالصلاة وإذا بي أحسّ بشخص يجلس على جانبي، هذا مع اني

كنتُ متيقّناً من إغلاق الباب، فأوجستُ في نفسي خيفة وحاولت التخفيف والسلام، فلمّا فرغت من الصلاة أقبلتُ عليه وقلت له متسائلاً: من أنت؟

قال: أنا مؤمن معتقد، من مؤمني الجنّ ومعتقديهم.

قلت: وما هي عقيدتك؟

قال: كعقيدتكم بالله والنبي وإمامة الأئمة المعصومين من أهل بيت النبي «صلوات الله عليهم اجمعين».

قلت : وهل انكم تقلّدون في أحكام دينكم؟

قال : نعم، وأنا من مقلّديكم.

قلت : عجيب! انك تقلّدني في أحكام دينك ومسائلك الشرعية؟

قال : نعم.

قلت : وماذا تريد الآن؟

قال : جئت لأُخبركم بأني رهن إشارتكم ومستعدّ للخدمة لكم.

قلت : شكراً، فإني رجل خفيف المؤونة ولا حاجة لي.

قال : اني أعرض ذلك عليكم بكل إخلاص وأرى ذلك فخراً لي.

قلت : أشكرك على شعورك الطيّب وإخلاصك الكبير.

ثم أخذ يصرّ عليّ بأن أقبل منه ما طرحه عليّ وأخذتُ أصرّ على موقفي الرافض لذلك، حتى إذا أيس من إجابتي له ورأى اني لا أطلب منه شيئاً، قال: انّ هناك من فسقة الجنّ وأشرارهم من يؤذون الإنس ويقذفون بيوتهم بالحجارة، فإذا اشتكى إليكم أحد من ذلك، فأمروه أن يرقى سطح منزله الذي يقذف فيه بالحجارة ثم ليتّجه إلى القبلة ولينادي بأعلى صوته: أيّها الجنّ ان الحاج الميرزا حسين بن الحاج الميرزا خليل يقول لكم: لاتقذفوا الحجارة في بيتي وامنعوا عنّي الذين يفعلون ذلك منكم، فإنا نمنعه.

قال ذلك ثم ودّعني وانصرف، وبعد ذلك اليوم وحتّى الآن كلّما جاء إليّ أحد من المؤمنين يشكو من أذى الجنّ وقذفهم داره بالحجارة علّمته ذلك، فيقع مفيداً وينجو من أذاهم والحمد للّه ربّ العالمين.

وهكذا يكون علماؤنا الأبرار حيث لا يفكرون في أنفسهم ولا يطلبون الراحة لشخصهم، وانما يفكّرون دائماً في إنقاذ الآخرين والترفيه لهم، وإسباغ الراحة عليهم وإسعادهم.

١٠

الدنيا سجن المؤمن

كان المرحوم الحاج الشيخ مرتضى الطالقاني «قدس سره» أحد علماء النجف الأشرف ومن الأساتذة البارعين في الأخلاق، وقد تربّى على يديه جماعة من كبار العلماء، واني كنت قد التقيتُ به قبل خمسين عاماً تقريباً، وذلك عندما كانت له غرفة في مدرسة السيّد فرأيته ممتازاً، وكانت إحدى ميّزاته انه كان يعيش ببساطة بالغة، وكان في عين بساطته نظيفاً جداً.

وقد نقل عنه انه لما حضرته الوفاة وصار في حالة الإحتضار وكان قد احتفّ به جماعة من العلماء، اغمي عليه ودخل في غيبوبة الموت، ثم لمّا أفاق التفت إلى من حضر عنده وقد عرق جبينه عرق الموت وقال: لو كان المؤمن يعلم بما يخصّه اللّه سبحانه وتعالى في الآخرة، لما فضّل الدنيا على الآخرة حتّى لدقيقة واحدة، وإن أُعطي

كل الدنيا وما فيها، ثم تشهّد الشهادات الثلاث ولفظ أنفاسه الأخيرة.

وإلى هذا وأمثاله أشار ما ورد في الخبر: من ان اللّه تعالى يعطي الإنسان المؤمن إذا انتقل إلى الآخرة «ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1].

كيف لا يكون كذلك وللّه تعالى خزائن السماوات والأرض وهو الكريم والواسع الذي لايزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً، وهو خير منزول به، وقد نزل به عبده المؤمن الذي آثر طاعته تعالى على هواه، وزمّ نفسه بزمام الايمان باللّه واليوم الآخر والكتاب والنبيّين والأئمّة المعصومين «صلوات اللّه عليهم اجمعين»؟

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦١ ح ٨٢ وفيه: على بال بشر.

١١

من أسرار تحريم التنباك

ينقل ان الإستعمار البريطاني عندما استطاع من تحصيل امتياز التنباك في ايران حاول من خلال ذلك النفوذ في صفوف الشعب الايراني المسلم لترويج نواياه الإستعارية في أوساطه، ولم يقف أمام هذا المدّ الإستعماري سوى حماة الإسلام الواقعيّين وهم فقهاء الشيعة الأجلاّء، حيث كان على رأسهم يومئذ المرجع الأكبر، سماحة آية الله العظمى السيّد الميرزا محمد حسن الشيرازي «قدس سره» فاجتمع ببقيّة العلماء والمراجع واستشارهم في كيفيّة المواجهة.

فلمّا طال اجتماعهم ولم يصدر منهم موقف حاسم تجاه الأحداث الراهنة في ايران، وكان البعض يستبطيء ذلك منهم ويرى لزوم السرعة في الإقدام القاطع لأجل انقاذ الشعب الايراني المسلم،

أقبل إليه تلميذه آية اللّه السيّد محمد الفشاركي وكلّمه في القضية مستأذناً منه أن يسمح له لو تعدّى طَوره ولم يراع آداب التلميذ والأستاذ معه في كلامه ـ وذلك لأن القضية بنظره مهمّة تتطلّب منه تلك الصراحة معه ـ.

فلمّا أذن له سماحته في الكلام بما يشاء، قال: يا سماحة الأستاذ لماذا لا تعلنوها بوجه الإستعمار صريحة واضحة؟

وانّه ماذا يقعدكم عن الإفتاء بتحريم التنباك ومنع كل ما يرتبط به من استعمال وبيع وشراء وتصرّف؟

أتخشون من ذلك على نفسكم ومكانتكم؟

أم لا يهمّكم ما يهمّ الشعب المسلم من دينه وعقيدته، وأمنه واستقلاله، أليس لكم في جدّكم الحسين عليه السلام أسوة حسنة؟

ألم يضحّ عليه السلام بنفسه وبكلّ ما يملكه لأجل انقاذ الأمّة؟

فمالكم تتلكّؤون عن ذلك، أفدمكم ـ والعياذ باللّه ـ أعزّ من دم ابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد بذله في هذا الطريق؟!

فألقى سماحته نظرة ملؤها الحنان والعطف إلى تلميذه الذي اندفع إلى كل ذلك عن دافع الايمان والتقوى ومن منطلق القرآن والإسلام وقال: اني ومنذ أيّام كنت أفكّر في تحريم التنباك الذي استقرّعليه رأي غالب الفقهاء ـ المجتمعين في شورى المراجع ـ ولكن كنت أفكّر في عواقب ذلك من جميع النواحي حتّى

توصّلت إلى إصدار فتوى التحريم. فذهبتُ اليوم إلى سرداب الغيبة - وكان سماحته يقطن سامراء - لأستجيز مولاي الإمام الحجّة «أرواحنا فداه» وقد أجازني «روحي فداه» واليوم قبل أن تأتي إليّ كتبتُ الفتوى بأمره عليه السلام.

ثم أخرج سماحته الفتوى وسلّمها لتمليذه ليراه بنفسه ويطمئنّ إليها، فلمّا رآها التلميذ تشكّر من أستاذه واعتذر منه، ثم استأذنه في الإنصراف، فانصرف مودّعاً.

ثم انّ سماحته أعلن الفتوى وجهر بها وكانت بهذا المعنى:

«اليوم استعمال التتن والتنباك بأيّ نحو كان في حكم المحاربة مع الإمام صاحب الزمان سلام اللّه عليه».

ثم أُرسلت الفتوى الى ايران وفي أيام قلائل وزّعت على جميع الأوساط الشعبية وفي كل أنحاء ايران، فلما سمع الشعب الايراني المسلم بفتوى مرجعهم انقادوا له بالسمع والطاعة وتركوا كل أنواع الإستعمال للتتن والتنباك، حتى انهم أحرقوا محاصيلهم الزراعية منها، وأفنوا مذخوراتهم المودعة في المخازن لها، وأتلفوا ما كان منها في أيديهم ولم يبيعوها للإستعمار، ممّا اضطرّت بريطانيا على أثرها فسخ المعاهدة والإنسحاب من ايران.

ومن طريف ما يذكر في هذه القصّة: ان بعد هزيمة بريطانيا من ايران، جاء بعض العلماء برفقة بعض الناس عند الميرزا الشيرازي

ليباركوا له الإنتصار العظيم.

فلمّا سمع الميرزا الشيرازي كلامهم أراد أن يُلفتهم إلى نقطة مهمّة جداً، حتّى يكونوا من الإستعمار على حذر ولا يتيهوا في غفلة الإنتصار وغروره، ولذلك هاج بالبكاء!

فلمّا سئل عن سبب ذلك، قال: اني أخشى عليكم من المستقبل، وذلك لأنّ العدوّ الغاشم عرف ان المراجع ورجال الدين هم مصدر الخطر له، واكتشف انهم وحدهم الذين يهدّدونه ويهدّدون مصالحه، وهو من الآن سيبدأ في تخطيط ماكر لمحاربتهم وعزلهم وفصل الناس عنهم.

نعم، انّ كلامه «قدس سره» هذا ليدوّي بعد في أسماع التاريخ، ويقرع آذان الأجيال، ويلفت ضمائر الأحرار والواعين، فعلينا بالحذر من مكائد الإستعمار، والإلتفاف حول العلماء الأبرار الذين هم امتداد لأهل البيت ﷺ، والذين هم يواصلون طريقهم، ويسيرون على هداهم، ويروّجون أهدافهم.

١٢

مع هدية الإمام الكاظم عليه السلام

ينقل عن المرحوم السيّد عبداللّه شبّر «قدس سره» الذي كان يعيش قبل مائتي عام تقريباً، وله تأليفات كثيرة ومفيدة، انه قبل بدئه بالتأليف وعلى أثر إخلاصه ومعنوياته، وطيب نفسه وتوسّله بأهل البيت عليهم السلام وخاصّة بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام رأى ذات ليلة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في المنام وقد أعطاه قلماً وأمره بالتأليف.

فلما استيقظ من نومه رأى نفس ذلك القلم الذي أعطاه الإمام عليه السلام في النوم موجوداً في يده، فلبّى أمر الإمام عليه السلام واشتغل بالتأليف.

وحيث كان منظوراً بنظر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام استطاع أن يؤلّف بذلك القلم تأليفات كثيرة من ذلك الوقت إلى آخر حياته،

ويخلّفها صدقة جارية من بعده، وهذه من كراماته العجيبة «رحمة الله عليه».

وقيل: انه حتّى في اللحظات الأخيرة من حياته كان مشغولاً بالتأليف، حيث وجدوه ميتاً، وفي قلمه آثار الرطوبة من الحبر.

١٣

الرسول ﷺ يكرم شاعره

ينقل انّ أحد الشعراء المعروفين أنشأ قصيدة في حقّ الرسول الأعظم ﷺ يمتدحه وآله «صلوات اللّه عليهم أجمعين» فيها، وحيث ان الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يكافؤون بالإحسان في الدنيا والآخرة كل من قدّم لهم خدمة مهما كانت تلك الخدمة صغيرة ومتواضعة، ولا ينسونه ولا يجهلون حقّه أبداً، لم تمض مدّة على ذلك الشاعر المعروف، حتى انه رأى ذات ليلة وهو في المنام رسول اللّه ﷺ، فلمّا وقع عليه نظره قال له: أنت الذي مدحتنا بقصيدتك؟

أجاب ذلك الشاعر: نعم يا رسول اللّه، ثم أضاف قائلاً: وما ذلك في حقّكم إلا كقطرة من بحر لجّي، بل هو كالعدم.

عندها التفت إليه رسول اللّه ﷺ وقال له: أحسنت وأجدت

على قصيدتك.

ثم أخذ ﷺ بردته التي كانت على عاتقه وأهداها إليه وساماً له، وجزاءاً لخدمته.

فرح ذلك الشاعر فرحاً كبيراً، وسرّ سروراً عظيماً، حيث رأى النبيﷺ يقبل منه قصيدته ويهدي له بردته، ولكن ازداد فرحه وتضاعف سروره عندما استيقظ من نومه وهو يرى البردة التي أهداها إليه رسول اللّه ﷺ في المنام موجودة عنده.

وهذه معجزة من الرسول الأعظم ﷺ وكرامة لذلك الشاعر المخلص في ولائه وحبّه للرسول وأهل بيته الطاهرين «صلوات اللّه عليهم أجمعين»، ومن أجل ذلك اشتهرت قصيدة هذا الشاعر فيما بعد بـ: «قصيدة البردة».

١٤

من بركات الدعاء والتوسل

نقل المرحوم السيّد علي شبّر «قدس سره» انه كان في النجف الأشرف بيتاً مشهوراً بالشؤم، حيث انه لم يسكنه أحد إلا أُصيب فيه ببلاء: من فقر، ومرض، وموت عزيز، وما أشبه ذلك.

ولهذا السبب كان مبلغ ايجار هذا البيت رخيصاً جدّاً بحيث يرغب فيه كل من لا سعة له من المال، ولكن ما يسكنه مدّة إلا ويندم على سكناه فيه ويسرع في تركه والإنتقال عنه.

يقول السيّد: وحيث كنّا ممّن لاسعة له من المال فكّرنا من باب الإضطرار في استيجار هذا البيت وعلاج شؤمه بواسطة الدعاء والتوسّل باللّه والرسول وأهل بيته الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين» وتلاوة آيات القرآن الحكيم آناء الليل وأطراف النهار، والعوذات المجرّبة في هذا المجال.

ثم استـأجرنا ذلك البيـت وفـعلنا كل ذلك في أول يوم نزلنا فيه، ومـا أن جنّ علينا اللّيل وأخذنا مضاجعنا ورقـدنا فيه إلا ورأيتُ في المنام سيّداً جليلاً تعلوه شيبة ووقار، وتكسوه هيبة وجلالة، وهو يُقبل إليّ، وينحـو نحـوي، حتـى إذا اقـترب منّي التـفت إليَّ وقـال معتباً: اني لم أكن أتوقّع منكم عملكم هذا!

فقلت له متعجّباً: وأيّ عمل صدر منّي لا تتوقّعونه؟

قال: انكم تتخلّون على قبري.

قلت: معاذ اللّه أن نفعل ذلك.

قال: نعم انكم تفعلون ذلك.

قلت: وكيف؟ وما هو دليلكم عليه؟

قال: انّ قـبري الذي دُفنت فيـه أنا قد اندثر، وذهبت مـعالمه، فاتّخذتم بيت الخلاء في بيتكم وبنيتموه على موضع قبري.

فانتـبهتُ على أثر كلامه ذلـك فزعاً مرعـوباً، وانتظرتُ مجيء الصبـاح حتى أستطيـع من خلالـه إصلاح الأمـر، وبالفـعل لما صـار الصبـاح جـئتُ بأحـد عـمّال البـناء وطلبتُ منه نقل بـيت الخـلاء من مكانه إلى مكان آخر من البيت بعيد عن هذا المكان.

فاشـتغل البنّاء بالـعمل، فلمّا هدم الموضع وإذا بقـبر قـد ظهر، وعليـه اسم شخص فلمّا رفـعنا حجـر القبـر وجدنا تحته جسـداً طريّاً سالماً لم يتغـيّر أبداً، ولـم يتغيّر حتّى كفنه الذي كـفّن فيه، وان الناظر

إليه ليراه كأنّه قد مات الآن.

فبنينا القبر من جديد وأظهرنا معالمه، وأعدنا إليه حرمته وكرامته، ثم بقينا في البيت بعد ذلك مدّة طويلة من الزمن دون أية مشكلة، وذهب والحمد للّه ببركة الدعاء والتوسّل شؤم البيت نهائيّاً.

وهكذا تبيّن لي سبب شؤم البيت وورود تلك المصائب على ساكنيها من قبل، وقد شاء اللّه سبحانه أن يدفع ذلك البلاء عنّا بسبب تلك التوسّلات والأدعية.

ثم ان السيّد المذكور قال في نهاية قصّته: وبعد ذلك التقيتُ بالعلاّمة النحرير الشيخ آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة، وسألته عن هذا الإسم الذي كان مكتوباً على ذلك القبر؟

فأخبرني عنه: بأن هذا الشخص كان من علماء الشيعة وأحد مصنّفيهم ونقل لي بعض ميّزاته ومواصفاته.

١٥

ذكر الله وآثاره

جاءني يوم وأنا في الكويت شابّ وسيم المنظر من أهل السنّة، وكان على وجهه آثار المضاضة والألم، فاستأذنني في بيان قصّته.

فلمّا أذنت له قال: انني موظّف في إحدى فنادق الكويت ومنذ زمن غير بعيد أصبت ببلاء أليم أثر على نومي وأكلي وكلّ شؤوني حتّى أخذ منّي مأخذاً عظيماً، وذلك بسبب انّ فتاة من الجنّ تأتيني وقت منامي وتؤلمني حتى الصباح لكماً وضرباً، وعضّاً وقرصاً، فتسلبني نومي.

ثم كشف عن رجليه ويديه وأراني ما عليها من آثار ذلك العضّ والقرص، واللكم والضرب.

ثم أضاف قائلاً: اني راجعتُ كل الأطبّاء والدكاترة في هذا الشأن، فلم يكن جوابهم إلا قولهم: انك متوهّم.

فلما أيستُ منهم راجعتُ الفوّالين والرمّالين حتى أيستُ منهم أيضاً، ثم فكّرتُ في مراجعة رجال الدين وقلت في نفسي: انه إن يكن شيء ينفع فهو عندهم.

فقلت له أن يحمل معه بعض العوذات والأدعية لتكون معه دوماً، ثم أمرته بأن يستغفر الله كثيراً، وأن يلهج بذكر لاإله إلاالله، وأن يقرأ في كل يوم القلاقل الأربعة وهي المعوّذتان والتوحيد والكافرون، وبعض الآيات القرآنية الأخر، مثل قوله تعالى: ﴿**يُرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**﴾.[1]

ولمّا أراد أن ينصرف قلت له: أخبرني عن نتيجة أمرك.

قال: قطعاً.

ثمّ انصرف وبعد شهر تقريباً من تلك القصّة، جاء الشابّ ذاته مستبشراً فرحاً على ثغره بسمة الإنتصار، وعلى وجهه آثار الصحّة والسلامة، فأقبل عليّ وحيّاني وشكرني كثيراً لنجاته وخلاصه من ذلك البلاء العظيم، ثم أراد تسليمي مبلغاً من المال فرفضت ذلك وقلت له: نحن لانعمل شيئاً للمال.

قال: اني منذ تلك الليلة التي راجعتكم في صبيحتها وأعطيتموني تلك التعليمات النافعة، أخذتُ مضجعي بكلّ راحة وفراغ بال، فإنّه لم يزاحمني بعد ذلك أحد والحمد للّه.

---

(١)الرحمن: ٣٥.

نعم، يقول اللّه تعالى في كتابه الكريم: **﴿ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب﴾**.[1]

ويقول تعالى أيضاً: **﴿إنّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا وإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثمّ لا ينصرون﴾**.[2]

(١) الرعد: ٢٨.
(٢) الأعراف: ٢٠١.

١٦

من شائع الدنيا

كان على ما نقل في وسط طهران وذلك قبل ما يقرب من مائة عام ظاهراً، مقبرة يدفنون فيها موتاهم، وكانت هذه المقبرة حسب ما يقال مخيفة في الليل، بحيث لايجرأ أحد على اجتيازها ليلاً، ولهذا السبب كان الناس لايمرّون بها أثناء اللّيل.

هذا بالإضافة إلى القصص التي كانت تتناقل عبر الأفواه بشأن الأرواح الشريرة التي كانت تطوف في هذه المقبرة ليلاً وتزيدها وحشة ورهبة ممّا كان الناس يزدادون منها تجنّباً وبُعداً.

وكان أحد رجال الدين يسكن في بيت استيجاري في طهران وكان قد انقضت مدّة اجارته، وقد طلب منه المالك تخلية البيت.

وحاول رجل الدين المذكور في الحصول على بيت استيجاري آخر وسعى في الطلب، لكن دون جدوى فاضطرّ في الليلة الأخيرة

من المهلة التي استمهلها من المالك أن يخرج من البيت آيساً يبحث عن مكان يلجأ إليه ويُسكن فيه عائلته.

فوقع طريقه على تلك المقبرة الموحشة، وبينما هو يسير بين القبور وإذا بشابّ جميل وسيم عليه ثياب تفوح منها رائحة طيّبة يمتثل بين يديه ليحيّيه ويقول له متسائلاً ومسلّياً في نفس الوقت: سيّدي مالي أراك مغتمّاً غارقاً في همومك؟ هوّن عليك، فإن الدنيا لا تستدعي ذلك، انظر إلى هذه المقبرة التي أنت فيها، فإنها على ما أعلم كانت يوماً منطقة آهلة بالسكّان، ثم تحوّلت تدريجياً إلى مقبرة، ثم أصبحت بعد ذلك مسكونة شيئاً فشيئاً، ثم تحوّلت مرّة أُخرى إلى مقبرة، وهكذا إلى أن عادت بعد ستّ وعشرين مرّة من عمرانها وازدهارها بالسكّان مقبرة كما تراها الآن، فهذا شأن الدنيا فلا يهمّك شيء من مصاعبها، فإن الدنيا تمرّ واللّه كريم، ثم غاب ذلك الشابّ عن نظره.

يقول رجل الدين المذكور: لما غاب ذلك الشاب عن عيني، رجعتُ إلى نفسي والتفتُّ وإذا بي وحيداً في هذه المقبرة الموحشة، فـفكرتُ بأنه من كان هذا الشاب الذي كلّمني، وبعث فيّ روح الأمل، وسلاّني عن مشكلتي؟

هل انه كان ملكاً من ملائكة اللّه تعالى، أو روحاً من الأرواح الطيّبة؟

لست أدري، إلا ان المهم انه أعاد روح الأمل إليّ، وأنقذني من همومي ومشكلتي.

ثم انه واصل طريقه حتى اجتاز تلك المقبرة الموحشة، وفي الطرف الثاني حصل على ما كان يبحث عنه من بيت للسكن وانتقل إليه.

١٧

حذيفة : الصحابيّ الوفي

ابّان حكم الملكيّين في العراق خضع قبر حذيفة الذي كان من أصحاب رسول اللّه ﷺ للتخريب بسبب جواره لنهر دجلة، وبما انه كان مزاراً للناس اضطرّ النظام أن ينقل القبر إلى جوار قبر سلمان الفارسي «رضي الله عنه» عبر الوسائل الحديثة مثل رافعة الأثقال وما أشبه.

ولكن القبر حين نقله من مكانه تهدّم فظهرت جثّة حذيفة وهي طريّة وغضّة، وكذلك كفنه غضّاً جديداً رغم مرور ما يقرب من أربعة عشر قرناً على دفنه.

فلمّا نظروا إليه ليشاهدوا ملامحه فإذا بهم يرونه أسمر اللون شديد السمرة، في سمات أهل الحجاز وشمائلهم، نحيف البدن هزيله، يحيط بوجهه الأسمر لحية بيضاء كأنّه هالة قمر، لم يأكل

التراب شيئاً من بدنه ولا من كفنه، ولم يغيّر شيئاً من محاسنه وسماته، وبذلك تجلّت معجزة اللّه تبارك وتعالى للناس، حيث رأوا في جثمان حذيفة خرقاً لقانون الطبيعة وتحدّياً لموازين التراب والأرض اللذان يأكلان كل جسم ويبليانه، ولا يدعان منه شيئاً.

فلما وصل النبأ إلى الناس وجماعة من العلماء انهال الجميع على المكان لرؤية المنظر ثم كفنوه بكفن ثان لينالوا به ثواباً وشرفاً، ثم شيّعوه في موكب ضخم ودفنوه في جوار سلمان الفارسي «رضي اللّه عنه»، وأصبح قبر هذا الصحابي الوفي ومازال إلى اليوم مزاراً للمؤمنين «رضوان اللّه تعالى عليه».

١٨

من أنباء البرزخ

كان المرحوم المحدّث القمي الشيخ عباس صاحب كتاب «مفاتيح الجنان» من خيار علماء الشيعة وزهّادهم، وكان قد نذر حياته كلّها في سبيل الخدمة للإسلام والمسلمين، وما من بيت من بيوت الشيعة في عالم اليومَ إلا وفيه أثر من آثار تأليفات الشيخ القمي «رحمة اللّه عليه» ـ عادة ـ.

توفّي هذا الرجل العظيم في النجف الأشرف ودفن في جوار أمير المؤمنين «سلام اللّه عليه» وبما ان عالم البرزخ عالم له أهميّة كبيرة وخطر عظيم بالنسبة إلى الإنسان الذي ينتقل من هذه الدنيا الفانية إليها، فهو لا يستغنى عن الإستيناس بما يبعث إليه ذووه من الخيرات والمبرّات، والقصة التالية التي نقلت عن نجل الشيخ وهو فضيلة الشيخ ميرزا علي ـ محدّث زاده ـ الذي توفي مؤخّراً، تؤيّد

ذلك، انه قال:

لما توفّي والدنا المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي، وفرغنا من دفنه ومن مراسم التعزية والفاتحة عليه فكّرنا في عمل الخيرات له، وحيث كان والدنا يعيش حياة زهيدة، لم يترك من بعده من أموال الدنيا قليلاً ولا كثيراً ـ وهكذا يكون دأب الصلحاء والعلماء الربانيّين ـ لذلك اتّفقتُ أنا وأخي على أن نسبّل الماء ونسقي به زوّار الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في ليالي الجمعة، وذلك بأن نملأ كوزاً لنا في صباح يوم الخميس بالماء ونجعله في مكان بارد حتّى يبرد الماء، وفي المساء نأتي به بارداً ونسقيه الزائرين العطاشا بثواب والدنا «رحمه الله».

وتمّ القرار بتقسيم هذا العمل بيني وبين أخي بأن أعمله مرّة أنا في ليلة الجمعة الاولى مثلاً ويعمله هو في الليلة الجمعة الثانية وهكذا، وفي ليلة من ليالي الجمعة التي كانت القسمة فيها لأخي، وكان من المقرّر عليه أن يسقي الزائرين حسب القرار، رأيتُ في المنام والدنا المرحوم وهو يتلظّى عطشاً، وكان من شدّة عطشه يستغيث ويقول: العطش العطش، فتذكّرتُ وأنا في النوم ان والدنا في عالم البرزخ وانّا نسقي زوّار الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ماءاً بثوابه، ولذلك قلت له: يا والدي، ألم يصلك الماء الذي نسبّله على الزائرين بثوابك؟

قال: نعم، ولكن هذه الليلة لا.

استيقظتُ على أثر ما أفزعني من مشهد والدي وشدّة عطشه من نومي وأسرعتُ إلى مأوى أخي فأيقظته من نومه وقصصتُ عليه رؤياي التي رأيتها عن والدنا وسألته عن قيامه بما تقرّر بيننا من تسبيل الماء.

فأجاب متعجّباً وهو يقول: اللّه أكبر، نعم لقد صدق والدنا حيث قال: ولكن هذه الليلة لا، فإني نسيتُ تسبيل الماء في هذه الليلة، ثم قام وأسرع إلى الكوز وأخذه واتّجه به إلى صحن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وأخذ يسقي زوّار الإمام عليه السلام من مائه حتى نفد الماء وتمّ.

نعم، انّ هذه القصّة وما شابهها دليل على شدّة ما يحتاجه الإنسان من الخيرات والمبرّات في عالم البرزخ مهما كان ذلك الإنسان صالحاً، كما وتدلّ أيضاً على لزوم عمل الخيرات والمبرّات المادية أيضاً مضافاً إلى عمل الخيرات والمبرّات المعنوية، يعني ان الإنسان هناك محتاج إلى من يبعث له ثواب قراءة القرآن والزيارة والبكاء على الإمام الحسين عليه السلام وثواب اقامة المجالس والشعائر الحسينية، وإطعام الجائعين، وسقي الظامئين، وتكفّل اليتامى والمساكين، وسدّ عوز المعوزين، وسدّ الخلأ الفكري وخاصّة لدى الشباب المسلم بنشر الكتب التثقيفية والأخلاقية التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين جعلهم اللّه تعالى أُسوة

لنا وقدوة في سيرتهم وأخلاقهم وتعاملهم مع الحياة، فقهاً وسياسة واجتماعاً واقتصاداً وما إلى ذلك وإهداء ثوابه إلى أمواتنا، فإنهم بأمسّ الحاجة إليها.

حتى انه نقل عن ملك مات، فرآه ذووه في المنام وهو يلتمسهم ويستجديهم فعل الخيرات والمبرّات ويقول لهم: أرأيتم كلبكم الذي يحرس لكم بيتكم كم هو بحاجة إلى ما تقدّموه له من عظام؟ فإني أشدّ احتياجاً منه إلى ما تبعثوه إليّ، وذلك لأن الكلب إذا حُرم منكم، استطاع أن يسدّ حاجته من غيركم، ولكني لو حرمتُ من خيراتكم ومبرّاتكم لي، فإني لا أستطيع على حصوله من غيركم، إذن: فما أحوجني إليكم وإلى ما تبعثوه إليّ من صدقاتكم وخيراتكم ومبرّاتكم؟

١٩

دعوة مستجابة

لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام تاريخ مشرق، فقد ثبت على طول التاريخ انهم متى ما وقع الحكم بيدهم عدلوا، ومتى ما قدروا عفوا، ومتى ما ملكوا سجحوا، بينما التاريخ قد أثبت معاملة العكس للآخرين.

فهذا أحد ملوك الأفغان ويدعى: محمود شاه افغاني، من حقده على الشيعة وشدّة عدائه لهم قد جنّد قبل قرن تقريباً جيشاً جرّاراً باتّجاه ايران وخلّف الدماء والدمار في أرجائها ومن أقبح جرائمه هو انه أمر جنوده بانتهاك الحرمات واقتحام البيوت وارعاب الآمنين، كما وأمرهم أن يأتوا إليه بكل بنت جميلة وفتاة وسيمة يجدونها في البيوت.

وذات مرّة وجد جلاوزته بنتاً جميلة من العلويّات فهمّوا

بأخذها ولكن البنت أبت وامتنعت عليهمَ، فلما أيست من مقاومتها لهم استعطفتهم عن طريق البكاء والتوسّل، فأجهشت هي وأبوها العجوز بالبكاء والنحيب، وتوسّلوا بالجلاوزة بأن يخلّوا سبيلها، لكن دون جدوى.

لأن الجلاوزة لا يفكّرون إلا في إرضاء الطاغية والنزول عند رغباته الدنيئة، ونزواته الوضيعة، مهما كلّفهم الأمر وأعقبه من ويلات ودمار، وبذلك يجعلون من أنفسهم جسراً لوصول الطاغية إلى مآربه وشهواته، ولم يحصلوا لأنفسهم سوى اللعنة والعار، والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، بعد أن يسجلوا أنفسهم فيمن باع آخرته لدنيا غيره، ولذلك على أتباع السلطان وكل من يعيش على مائدته أن يقدّروا أنفسهم ولا ينزلوا بها إلى حضيض الذلّ والعار، وهوان جهنّم ودركاته.

وكيف كان: فإن أولئك الجلاوزة لم يعبأوا ببكاء البنت ولم يحنوا على ضعف أبيها العجوز، بل أخذوا يسحبونها ويقولون: نحن مأمورون، والمأمور معذور، وهذا أيضاً من تحريفات الطواغيت ومن تسويلات النفس والشيطان، فإن المأمور في هكذا أُمور ليس كما هو المعروف على الألسنة بأنه «معذور»، بل هو كما في الحديث الشريف: «مأزور» يعني عليه الوزر والعقاب من اللّه تبارك وتعالى.

نعم جرّ الجلاوزة الفتاة العلويّة أمام عيني أبيها واقتادوها للطاغية، فلم يملك الأب العجوز ما يدفع به عن نفسه وما يستنقذ به ابنته منهم، إلا أن رفع يديه إلى السماء وقال: اللّهم انّك تعلم حالنا وما نزل بنا، فخلّصنا وابنتي من هؤلاء الظالمين، ومن العار والشنار، ثم أرخى عينيه بالبكاء.

لم تطل المدّة على هذا الأب الواله، ولم ينفك يبكي ويدعو حتى استجاب اللّه تعالى دعائه، وفرّج عنهم وعن ابنته، فبينما هو كذلك إذ دخلت عليه ابنته العلويّة وهي فرحة مستبشرة.

فقام إليها أبوها العجوز وعيناه تجريان دمعاً من الفرح والسرور، فاعتنقها وهو يبكي ويقول: انك ابنتي؟!

فتجيبه: نعم، يا أبة أنا ابنتك، وقد فرّج اللّه عنّي استجابة لدعائك لي.

فقال: وهل لك أن تقصّي عليّ قصّتك؟

قالت: نعم يا أبة، لما أخذنا الجلاوزة إلى السلطان الطاغية، ولم أكن وحدي، بل كانت هناك فتيات كثيرة أُخذوا إلى الطاغية قهراً، فأمر الطاغية أن يجعلونا في إحدى غرف قصره ويهيّؤونا له، ونحن نبكي ونتوسّل إلى اللّه في خلاصنا منه، وإذا بالطاغية يصاب بألم شديد في بطنه يسلبه قراره ويفقده لبّه ونظامه، فعمّ القصر اضطراب شديد، وعلا كل من في القصر قلق وخوف أدّى إلى أن

يأمر الطاغية بإطلاق سراح كل الفتيات والإفراج عنهنّ.

فخرجنا فرحين وأتينا بيوتنا سالمين والحمد للّه، وهكذا ظهرت آثار دعوة هذا الأب العجوز التي كانت عن توجّه خاص وانقطاع صادق إلى اللّه تعالى واضحة جليّة.

وفي رواية عن أمير المؤمنين ﷺ قال: انّ اللّه تبارك وتعالى أخفى أربعة فى أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرنّ شيئاً من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لاتعلم، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرنّ شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لاتعلم، وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرنّ شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لاتعلم، وأخفى وليّه في عباده فلا تستصغرنّ عبداً من عبيد اللّه، فربما يكون وليّه وأنت لاتعلم.[1]

وهذه الرواية وأمثالها تفرض على الإنسان العاقل ناهيك عن المؤمن بأن يلتزم بهذه الأمور الأربعة: من المواظبة على الدعاء والتوسّل الدائم باللّه وبرسوله وأهل بيته الطاهرين «صلوات اللّه عليهم أجمعين»، واجتناب كل ذنب ومعصية، واحتساب كلّ حسنة وطاعة، واحترام الآخرين وتوقيرهم وإن كانوا أقلّ منه شأناً ومقاما.

(١) الخصال: ج ١ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ح ٣.

٢١

لا تستصغر أحداً

كانت كربلاء المقدّسة ولا تزال تزدحم بالزائرين الكرام الذين يأمّونها في مناسبة الزيارات المخصوصة للإمام الحسين عليه السلام، وفي ليالي الجمعة أيضاً كانت كذلك، وفي ليلة من تلك الليالي حيث كان الزائرون يملؤون شوارع كربلاء وأزقّتها كنّا جالسين بالقرب من المخيّم، وكان يحدق بنا جمع من هؤلاء الزوّار الكرام وأكثرهم في زيّ أهل القرى والأرياف الذين يعيشون بعيدين عن الأجواء الدراسية والعلمية، وهم ينصتون إلينا ويسمعون حوارنا، وبينا نحن كذلك إذ وصل البحث إلى هذا السؤال وهو: انه ما هي تلك الأوزان الأربعة التي يمكن أن توزن بها الأشياء من الكيلو الواحد حتى الأربعين كيلو؟

فدخل الجميع في التفكير لحلّ هذا السؤال، وإذا بأحد هؤلاء

الزوّار وكان يعلوه ظاهرة الأميّة والبداوة، وانه لايحسن شيئاً من اللغة الفارسية ولا الحساب وقف وقال: هذا السؤال لايستحقّ التفكير كثيراً، فإن الأوزان الأربعة هي عبارة عن: (١ و٣ و٩ و٢٧).

وكان الجواب صحيحاً، وذلك لأنّا بهذه الأوزان الأربعة نتمكّن أن نقوم بوزن ما نريده من الكيلو الواحد إلى الأربعين بلا عوز من جهة الوزن، فمن أجل توزين كيلوين ـ مثلاً ـ نضع الوزن ذاالثلاثة كيلوات في إحدى كفّي الميزان، ونضع الوزن ذاالكيلو الواحد في كفّته الأخرى ونقوم بوزن كيلوين من المتاع، وهكذا حتى وزن أربعين كيلواً من المتاع، حيث نجعل الأوزان الأربعة كلها في إحدى كفّتي الميزان.

إذن : فكيف يمكن للإنسان أن يحتقر الناس مع ان بعضهم قد يكون من أولياء اللّه، أو ذو دعوة مستجابة، أو شخصية علمية، رغم ظاهره العادي؟!

وعليه: فإنّ علينا أن نسيء الظنّ بأنفسنا، وأن نحسن الظنّ بالآخرين، وأن نمارس ذلك من أنفسنا ممارسة عملية ونطبّقه تطبيقاً خارجيّاً، حتّى تصبح فينا ملكة احترام الآخرين وتوقيرهم، وإضمار حبّهم وإرادة الخير لهم قويّة ومنيعة.

٢١

المصاعب تصنع الرجال

نقل المرحوم الشيخ محمد حسن الهرسيني الذي كان من أصدقاء والدنا «قدس سره» وكان من الأجلاء ومن العلماء الأبرار قائلاً:

ان منطقتنا «هرسين»[1] كانت بحاجة إلى التبليغ والإرشاد، فقد كان المنحرفون يروّجون أفكارهم المنحرفة في أوساط مجتمعنا وليس من يمنعهم عن ذلك، ولا من يروّج الأفكار الصحيحة في المقابل، فقررت المجيء إلى النجف الأشرف لتلقّي الدروس الدينية والتفقّه في الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام والعودة إلى البلد بغية التبليغ.

وكان والدي يبعث لي مبلغاً متواضعاً إلى النجف الأشرف

(١) هرسين منطقة تقع حوالي كرمانشاه في ايران.

أتقوّت به، وأصرفه في إدارة أُموري، وبعد فترة من الزمن انقطع عنّي ما كان يبعثه إليّ والدي من المساعدة، ونفد ما كان عندي أيضاً من المال ولم يبق لي شيء أسدّ به رمقي حتى أخذ الجوع منّي مأخذاً عظيماً.

فقمت آيساً من كل شيء وتوضّأت للزيارة ثم ذهبتُ إلى حرم أميرالمؤمنين علي عليه السلام وقلت له: سيّدي أنت تعلم اني لم أقصد الدنيا بمجيئي إلى النجف الأشرف، وانما جئتُ للتشرّف بالزيارة ولطلب العلم للخدمة في سبيل اللّه والتبليغ لمذهب أهل البيت عليهم السلام، والآن ومنذ فترة أصبحت في ضيق من العيش، وقلّة من الرزق، وبقيت اطوي جائعاً ولم أتحمّل الجوع أكثر من هذا، ولا أُريد أن أسأل من أحد شيئاً حفاظاً على ماء وجهي واني كما تعلم يا سيّدي متقشّف قنوع، أقضي الحياة على ماء البئر المالح، ولكن مع ذلك لو لم يكن لي شيء أسدّ به جوعي، أضطرّ إلى العودة إلى بلدي دون أن أُحقّق شيئاً من هدفي.

ثمّ تضرّعت إلى اللّه سبحانه وتعالى وصلّيتُ ركعات وبعد الزيارة والصلاة ودّعتُ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وخرجتُ من الحرم الشريف متوجّهاً إلى الدرس، وفي الطريق إلتقى بي شخص في زيّ الأعراب لم أعرفه ولم أره من قبل، فسلّم عليّ وصافحني ووضع ظرفاً في يدي عند المصافحة ثمّ ودّعني وذهب.

ولمّا ذهب وصرتُ وحدي فتحتُ الظرف فوجدتُ فيه كمّية محترمة من المال، فصرفته على نفسي وإدارة شؤوني في فترة من الزمان حتّى انتهى.

ولمّا انتهى وبقيتُ مدّة بلا شيء وامضّ بي الجوع جئتُ مرّة أُخرى الى الحرم الشريف وقلتُ للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بعد الزيارة والصلاة، والدعاء والتضرّع ما قلته في المرّة السابقة ثمّ ودّعته وخرجت، ولمّا خرجت من الحرم الشريف وصرتُ في بعض الطريق إلتقى بي نفس الرجل الذي التقيته آنفاً فصافحني وسلّمني ظرفاً آخر ثم ودّعني وانصرف، فذهبتُ فلما وصلتُ إلى المدرسة ودخلتُ في حجرتي فتحت الظرف، فوجدتُ فيه مالاً محترماً، فأخذته وشكرتُ اللّه تعالى عليه ثم صرفته في شؤوني حتى انتهى وعادت همومي من جديد.

ولكن للمرة الثالثة ذهبتُ إلى حرم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وقلت له ما قلت كالسابق وجرى لي ما جرى من الإلتقاء بالرجل وتسليمه المال إليّ.

وفي هذه المرّة لمّا انتهى المال جاءني نجل السيّد أبوالحسن الاصفهاني «قدس سره» واسمه السيّد حسن الذي استشهد في مابعد وقال لي: انّ السيّد الوالد يسأل عن صحّتك ويحبّ لقاءك.

فقمت وتهيّأتُ لزيارته، فلمّا وفدتُ عليه رحَّب بي كثيراً،

وأخذ يتفقّدني ويسأل عن حالي حتّى وصل إلى السؤال عن حالتي المعيشيّة.

فقلت له: انّ والدي يبعث لي شيئاً من المساعدة ولم أشرح له بقيّة قصّتي ولا ما وقع لي بعدها.

ثم لما أردتُ الإنصراف أعطاني السيّد ظرفاً فيه شيء من المال، وأجرى لي بعده من ماله ما يكفيني، وبذلك أمضيتُ أيّام دراستي الدينية ورجعتُ بعدها إلى بلدي للتبليغ والإرشاد، ولكن لم ألتق بعد تعرّفي على السيّد أبي الحسن الاصفهاني «قدس سره» واسعافه لي بذلك الرجل الذي كان يسعفني وهو في زيّ الأعراب.

ويظهر من هذه القصّة بوضوح انه ـ عادة ـ متى ما توفّر السبب الظاهري انقطع السبب الخفيّ في الأمر، كما انه يظهر منها كيف يكابد الحياة ويتحمّل مشاقّها أصحاب النفوس الكبيرة، وذووا الهمم العالية، وأولوا الأهداف النبيلة، فيجدّون ويجتهدون من أجل التوصّل إلى إصلاح أنفسهم وهداية الآخرين.

٢٢

لا تبع آخرتك بدنيا غيرك

كان هناك عالم آخر من علماء «كرمانشاه» وهو المرحوم الشيخ فرج اللّه الوموَندي، وكان أيضاً من أصدقاء المرحوم والدنا ومن تلاميذ المرحوم الميرزا محمّد تقي الشيرازي «قدس سره» وقد نال على يديه درجة الإجتهاد.

وكان من امتيازات هذا الشيخ «رحمه الله» انه كان ملتزماً أشدّ الإلتزام بقوانين الشريعة وأحكام الدين الإسلامي الحنيف، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يخشى أحداً حتى أصبح مطارداً من قبل النظام الجائر، نظام البهلوي، ومطالباً بإلقاء القبض عليه.

فلما أُلقي القبض عليه يقول: جاءوا بي إلى ضابط من ضبّاط النظام ولم أعرف هل انه كان مسلماً أو انه لم يكن له دين أصلاً، فإنهم لمّا أدخلوني عليه رأيته مستلقياً على كرسيّ له وبيده جريدة

يطالعها، فلمّا سلمتُ عليه لم يجب سلامي وانّما ردّ عليّ بالسباب الركيكة والكلمات القبيحة، وهذا ليس عجيباً لأنّ الناس على دين ملوكهم.

والموقف كان مزرياً إلى درجة جعلني أتأثّر بشدّة، فأخذتُ اتمتم مع نفسي وأقول: يا صاحب الزمان اني ضابط لك وهذا ضابط للبهلوي، سيّدي أنت تعرف بأنّي أطلب العلم لإصلاح نفسي، ولهداية الأمّة، هذه الأُمّة التي أصبحت تعاني من الإنحرافات التي أشاعها البهلوي والمبادىء الضالّة التي روّجها نظامه، سيّدي لا ترضى باستهانة أحد جنودك على يد واحد من جنود البهلوي.

وأخذتُ أتوسّل بالإمام الحجّة «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف» بتوجّه وانقطاع، وذلك الضابط مازال يسبّني أيّما سبّ، ويقع فيّ أيّما وقيعة، شتماً وقذفاً بلا هوادة ولا رحمة، وبينا هو كذلك وإذا بعقرب كبيرة تقع من السقف وبلا سابق إنذار على صدره وتضطرّه إلى أن يتركني ويلوذ بالفرار ذليلاً خائفاً وجلاً مرعوباً، وهكذا تخلّصتُ والحمد للّه من شرّه متيقّناً من انّ هذا الخلاص هو بلطف الإمام الحجّة «صلوات اللّه عليه».

كان هذا ما أغاثني به مولاي صاحب الزمان «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف» بالنسبة إلى هذا الضابط وتداركني بالخلاص من ظلمه

وشرّه، ولكن لم يكن آخراً، فقد تسلسلت على هذا الضابط سلسلة من المشاكل والمصائب اودت أخيراً بحياته وتركته فريسة للموت وعبرة لمن اعتبر.

وقد رأيته في أُخريات أيامه ضعيفاً نحيفاً مصفرّ اللّون شاحب الوجه، فتحققّتُ عن سبب ذلك، فتبيّن ان جماعة من أهل تلك المنطقة قد ضاقوا من ظلمه وجوره، وثقل عليهم سوء سلوكه وتصرّفاته، فأخذوا يتربّصون به الدوائر، ويترصّدونه للإنتقام منه ومن أعماله العشوائية، ويتحيّنون الفرصة لمجازاته على وحشيّته وسوء أدبه.

وبالتالي عثروا عليه في مكان وحده، فأخذوه من دون أن يعلم بهم أحد من جلاوزة النظام، ومن دون أن يراهم أحد حتى يغيثه أو يخلّصه من أيديهم، أو يَخبر عليهم أجهزة النظام وأعوان السلطان، ولذلك أخذوه بكل بساطة إلى مكان مجهول، ليذيقوه بعض الذي عمله تجاه الناس الأبرياء، ويروه شرّ ما يصنعه بالآخرين من بني نوعه.

وبالفعل فقد ذهبوا به خارج البلد وفي مكان مستور من أعين الناس وغلّوا يديه ورجليه وتركوه وحده، ثم جاءوا بدبّ وحشي صغير وربطوه بالقرب منه، والدبّ هذا وإن كان صغيراً لا يمكنه افتراس الإنسان، اضافة إلى انهم كانوا قد قيَّدوه بما لم يتمكّن معه

من الإفتراس، لكن شكله المخيف وصورته الموحشة قد يفرغ قلب الإنسان ويملأ جوفه خوفاً ورعباً.

وبالفعل فقد امتلأ قلب هذا الضابط رعباً وذعراً، كلما رأى الدبّ ينظر إليه شزراً، ويعضّ عليه نواجذه حنقاً، وهو يتصوّر انه يريد افتراسه وتمزيقه، ولمّا مضت على هذه العمليّة فترة أيقن فيها هؤلاء الجماعة الذين أخذوه للتأديب بأنه قد تأدّب بهذا، جاءوا إليه وفكّوا الأغلال عن يديه ورجليه وأطلقوا سراحه بعد أن توعّدوه بأشدّ منها لو لم ينقلع عن سوء أعماله وشراسة تصرّفاته مع الأبرياء من الناس، لكن هذا التأديب كان له الأثر الكبير في كسر غروره وتحطيم روحيته الشريرة، وزرع الخوف والقلق في قلبه، والإضطراب الدائم في نفسه وفكره ممّا أدّى به إلى حالته المزرية تلك التي رآه الشيخ بها.

يقول الشيخ «رحمه الله»: لما سمعتُ بالخبر ورأيتُ ما أدّى إليه حال ذلك الضابط تأثّرتُ له كثيراً، وتأسّفتُ عليه، بأنه لماذا أصبح آلة بيد الظالم كالبهلوي وباع من أجله ليس آخرته فحسب بل دنياه أيضاً، حيث وقع في مثل هذا البلاء الذي اكتسبه هو لنفسه وبيديه، وفقد بذلك أمنه وسلامة روحه وفكره، كما واعتبرت من قصته أيضاً حيث رأيت انه قد جوزي من قبل أولئك الجماعة بما يرتكبه هو بنفسه في حقّ الآخرين، فإنه عندما كان يهاجم الذي قبض عليه

بتلك الشراسة، ويقذفه بوابل من السباب والشتائم، كان أشبه شيء بهذا الدبّ الوحشي الذي قرنوه إلى جنبه، حيث كان من شكله المخيف وكلامه العنيف يتصدّع قلب الإنسان ويمتلىء جوفه خوفاً ورعباً.

طبعاً هذا جزاؤه في الدنيا، وأمّا في الآخرة فإنّ في الحديث: «من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقى اللّه عزّوجل وبين عينيه مكتوب: آيس من رحمة اللّه»[1] هدانا اللّه جميعاً وأعاذنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

---

(١) أمالي الطوسي: ج ١ ص ٢٠١ ب ٧ ح ٤٠.

٢٣

الكياسة من صفات المؤمنين

هناك قصّة أُخرى طريفة حدثت للمرحوم الشيخ فرج اللّه المومونَدي أيضاً، وهي:

ان المرحوم حيث كان يبعث في المسلمين اليقظة والوعي من خلال محاضراته وخطاباته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر كان قد أصبح في نظر حكومة البهلوي عنصراً غير مرغوب فيه، وموجوداً مزاحماً ومخلاً لأمن النظام، ولذلك بعثوا إليه ضابطين لإلقاء القبض عليه.

ولكن الضابطين حيث كانا يجهلان المنطقة لم يعثرا على الشيخ كلّما بحثا وفتّشا عنه، حتى دفع بهم الأمر إلى أن يدخلا مسجداً كان في طريقهم فيسألا المصلّين عنه.

فلمّا دخلا المسجد كان وقت الصلاة، وقد أُقيمت فيه الجماعة

واصطفّ الناس للصلاة والإقتداء بإمام جماعتهم، فتريّثا حتى إذا قضيت الصلاة جاءا إلى امام الجماعة الذي كان يحتفّ به كثير من الناس وسألاه عن الشيخ المومونَدي.

ولمّا سألاه عنه عرف إمام الجماعة انّ هذين الضابطين من جلاوزة البهلوي ويريدان إلقاء القبض على الشيخ، كما وعرف من سؤالهما انهما يجهلان الشيخ ولا يعرفانه، ولذلك فكّر في أن يجيبهما بجواب يلقي في قلبيهما هيبة الشيخ وعظمته، ممّا يجعلهما ينصرفان عن مهمّتهما.

وكذلك فعل، حيث انه تجاهل سؤالهما وأخذ يستوضحهما في السؤال عن الشيخ، وهما يقدّمان له التوضيحات في ذلك، ويذكران له مواصفات الشيخ ومشخّصاته، حتى إذا أوضحا مرامهما ولم يدعا على ما يريدانه من غبار، صاح إمام الجماعة بهما فجأة: تقصدان آية الله الشيخ فرج الله؟! ثمّ قام ووضع يديه على رأسه وأخذ يرعد بهما كالصاعقة وهو يقول: سماحة آية الله... سماحة آية الله...

ولما رآه أصحابه المحتفّون به وهو يفعل ذلك قام الجميع ووضعوا أيديهم على رؤوسهم وفعلوا كفعله، مما أثار دهشة الضابطين، وجعلهما يحتاران في أمرهما، ويفكّران في الإنصراف عن مهمّتهما، لما أُلقي من الرعب في قلبيهما، والخوف في

نفسيهما.

عندها التفت إليهما إمام الجماعة وقال لهما: اني من تلاميذه فإذا كان هناك أمر فقولا لي حتّى أُخبره به، فإنه لم يمكنكما مواجهته، لأنّ أهل هذه المنطقة يحبّونه حبّاً عظيماً ويحدقون به دائماً يحفظونه من كل سوء وخطر، وإذا أحسّوا بأنّكما تنويان السوء في حقّه لم يؤمنكما من بطشهم أحد.

نظر أحد الضابطين إلى الآخر وقالا في جوابه: نسأل عن أحواله، ثم اعتذرا من إمام الجماعة وخرجا من المسجد وعادا إلى محلّهما خائفين خائبين.

ثم أبرقا إلى المركز بأنّ الشيخ الذي أُمرنا بإلقاء القبض عليه مهمّ إلى درجة بحيث لما يسمع الناس اسمه كأنهم قد سمعوا اسم الإمام الحجّة «عجّل الله تعالى فرجه الشريف» يقومون له تعظيماً واحتراماً، ويضعون أيديهم على رؤوسهم إجلالاً له وإكراماً، وإلقاء القبض عليه يعني تفجير الوضع وإشعال الفتنة والحرب، فألغت الحكومة قرار القبض عنه.

وهكذا استطاع إمام الجماعة بفطنته وكياسته أن يحفظ الشيخ من الوقوع في يد الطاغية الديكتاتور، وأن يخلص المنطقة نفسها من نار الحرب والدمار.

٢٤

الإمام عليه السلام يعزل قاضيه

للقضاء في الإسلام أحكام خاصّة تشدّد على القاضي لئلاّ يرتشي ويجور في الحكم، وتسهّل على المتقاضين لئلاّ يضيع حقّهم ويتلف وقتهم، والقصّة التالية مثال على ذلك:

ورد في كتاب مستدرك الوسائل[1]: ان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كتب إلى أحد قضاته، وهو: أبو الأسود الدوئلي، كتاباً يعزله فيه عن منصب القضاء.

فلمّا وصل الكتاب إلى أبي الأسود الدوئلي واطّلع على عزله تأثّر كثيراً، لأنّ عزل القاضي عن منصبه معناه: سقوطه عن مؤهّلات القضاء وعن مكانته الإجتماعية، ولذلك جاء إلى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مسرعاً وقال: يا أميرالمؤمنين لِمَ عزلتني عن منصب

---

(١)راجع مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٣٥٩ ح ٢١٥٨١.

القضاء وما خُنتُ وما جنيت؟

فقال له الإمام عليه السلام: نعم، إنّك لم تخن ولم تجن، ولم ترتكب ما يسقطك عن عدالتك، ولكن بلغني عنك ما يسلب منك مؤهّلات القضاء.

فقال أبو الأسود متسائلاً: وما هو ذلك الذي بلغك عنّي يا أميرالمؤمنين؟

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: بلغني عنك انّ صوتك يعلو صوت الخصمين! وهذا ممّا لايليق بالقاضي الإسلامي ويسقطه عن أهليّته لتصدّي القضاء.

وبالفعل فإن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عزله عن القضاء لأجل ذلك، مع انّ أبا الأسود كان من تلامذة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ومن أصحابه، وهو الذي أعطاه الإمام أُصول النحو العربي وأمره بأن يُتمّه ويشرحه بتفصيل وقد فعل، لكنّه لأجل هذه الخصلة فقط يعزله الإمام عن منصبه، ليقول للمسلمين وللأجيال الصاعدة: ان الحكم في الإسلام مسؤولية كبرى تهدف خدمة الناس، وتوفير حقّهم عليهم، وتقدير عواطفهم ومشاعرهم، وليس كما هو في عالمنا اليوم، استهتار بالناس، وتضييع لحقوقهم، وإتلاف لعمرهم ووقتهم، وتلاعب بشؤونهم ومقدّراتهم، حتى ان المتخاصمين أحياناً يموتون ولم تفصل بعد قضيّتهم، وإلى أمثال ذلك من الإستخفاف بالناس وبحقوقهم.

٢٥

التقاعس عن العمل

الإسلام بمقدار ما يهتمّ للآخرة يهتمّ للدنيا أيضاً، ففي نفس الوقت الذي يأمر بالصلاة والصيام، يأمر بالمعاش وتحصيل الرزق، وقد داب المسلمون الأوائل على ذلك حتّى ان ورد في أحوال أبي الأسود الدوئلي الذي اضطَلع في علم النحو وشرح أُصوله وقواعده بأمر الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام - كما سبق - انه كان يملك دكّاناً في الكوفة يكتسب فيه هو وأولاده، وفي أواخر حياته حيث أصابه الضعف والكبر، وأشعل الشيب شعر رأسه ووجهه، زاره في بيته واحد من الناس.

فلمّا دخل عليه رآه من شدّة الضعف قد تمدّد في فراشه، فأقبل عليه يتفقّده ويسأل عن أحواله وأبو الأسود يحيّيه ويرحّب به ويطيب مجاملته ويحسن ضيافته.

قال: وبينا أنا كذلك وقد قضيت وطراً من زيارته وهممتُ بالإنصراف إذ أقبل إلى أبي الأسود غلامان حدثان فحيّوه وأخذا تحت ابطيه وهما يعتذران منّي وهو كذلك يقدم اعتذاره.

فقلت له: إلى أين يا أبا الأسود؟

قال: إلى الدكّان من اذنك.

فقلت له متعجّباً: أنت مع كبرك وشدّة ضعفك ووجود أولادك إلى جانبك غنيّ عن العمل والتكسّب، فلماذا تتجشّم عناء الذهاب إلى العمل؟

فأجاب: اني لو لم أذهب إلى الدكّان لكسب العيش وطلب الرزق، وأبقى جالساً في البيت أو مستلقياً في الفراش، يذهب جلالي، وينسلخ عنّي بهائي، ويستصغرني كل أحد حتى هذه السخلة ـ وأشار بيده إلى معز هناك ـ مبالغة منه «رحمه الله» في التأكيد على انه ينبغي للإنسان أن يعمل ويكتسب ويكون عضواً نافعاً في المجتمع، ولا يترك الكسب والعمل مع قدرته عليه فيكون كلاً على الناس ولو كان يعيش لحظاته الأخيرة.

وهذا درس منه «رحمه الله» للذين يتقاعسون عن العمل بحجج واهية مثل التقاعد أو الشيب وما أشبه ذلك، بل ينبغي للإنسان أن يعمل مادام في الحياة، ولو كان عمله الحضور في الدكّان والجلوس فيه.

هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى:

يحثّ الدين الإسلامي ويؤكّد كثيراً على توطيد العلاقة بين أفراد الأُسرة الواحدة الذين يشكّلون لبنات المجتمع، بل ان الأُسرة في نظر الإسلام هو المحيط الإجتماعي الصغير الذي يتكوّن منه المحيط الإجتماعي الكبير، فسلامة محيط الأُسرة له الأثر الكبير في سلامة محيط المجتمع، كما انّ فساده له الأثر البالغ في فساد المجتمع، وانطلاقاً من هذه النظرة الثاقبة، يحبّذ الإسلام على أن تعيش الأُسرة في حالة يسود بين أفرادها المحبّة والعاطفة، ولا ينتهي الأمر بهم إلى انه لو أصاب أحدهم الشيب يتركونه وشأنه دون أن يهتمّوا به أو يتعاطفوا معه، فإنهم إن فعلوا ذلك ترتّب عليه أثران سيّئان أحدهما أسوأ من الآخر وهما عبارة عن:

الأوّل: انه بحسب القاعدة المطّردة في الحياة، والمعروفة لدى الجميع، والثابتة عبر التجارب اليومية، قاعدة: «كما تدين تدان»[1] سيتعرّض الشباب الذين يتعاملون مع كبار السنّ بهذه المعاملة إلى المكافأة يوماًمّا، فإنهم سيكبر سنّهم في المستقبل وسيتعامل معهم أولادهم بنفس المعاملة، وهل عاقل يقوم على مثل ذلك؟

الثاني: انه بحسب القاعدة النفسية الثابتة في علم النفس، والمسلّمة عند علماء الإنسان والإجتماع قاعدة: المؤانسة والمؤالفة،

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٣.

والتعاطف والتحابب ، ربما يتعرّض كبار السنّ الذين تشتدّ فيهم هذه الحالة النفسيّة أيّام كبرهم وخاصّة عندما يحسّون بأنهم فقدوا من يؤانسونه ويؤالفونه، ولم يجدوا من يبادلونه مشاعرهم وعواطفهم، إلى أن يقيموا علاقات عاطفيّة مع ما لم يكن مشروعاً أُلفته ومؤانسته لا دينياً ولا انسانياً، كالألفة مع الكلاب والقططة وما أشبه ذلك مما هو شائع في المجتمعات الغربية، حيث يألفون أمثال هذه الحيوانات، لإشباع عواطفهم وأحاسيسهم الجيّاشة.

وهذا مما يترتّب عليه آثار مؤسفة، مثل الإبتلاء بالأمراض الجسدية والنفسية، وربما يصل الأمر بهؤلاء أو غيرهم من الشباب إلى ان أحدهم لايكتفي بتبادل العواطف والمشاعر مع هذه الحيوانات التي يألفونها، بل يستبدّ بهم حسّ النقص العاطفي إلى إشباع حتّى غرائزهم الجنسيّة معها ممّا يجرّ عليهم بلاء الأمراض المعدية والفتّاكة والتي تؤدّي أخيراً بحياتهم وتقضي بقساوة وضراوة عليهم ، وذلك بسبب ذويهم الذين هجرهم وحرموهم من تبادل عواطفهم ومشاعرهم مع بني نوعهم بصورة مشروعة.

ومن الطبيعي للإنسان وإن كبر سنّه وطال عمره أن يشبع عواطفه وغرائزه، فإذا لم يجد إشباع ذلك عن طريق الأساليب المشروعة فربما يحاول التشبّب بالأساليب اللامشروعة ، وهناك يمكن الخطر.

إذن : فمن اللازم على كل انسان له شمّة من الإنسانية والعقل، بل ومن العاطفة والمحبّة أن يراعي عواطف الآخرين ويقدّر مشاعرهم وخاصّة كبار السنّ منهم، وذلك:

أولاً: وقاية لمستقبلنا فإنه كما تدين تدان.

وثانياً: ضماناً لسلامة مجتمعاتنا من الأمراض الجسدية والنفسية، وهذا ما أكده الدين الإسلامي في مجالات شتّى.

٢٦

المؤمن ينظر بنور الله

المصداق الكامل للمؤمن هو رسول اللّه ﷺ والأئمّة من أهل بيته المعصومين عليهم السلام ثم من حذا حذوهم وانتهج سيرتهم، وفي مقدّمتهم العلماء، والقصّة التالية تشير إلى بعض هذا المعنى:

يقال: انه كان يعيش في مدينة اراك[١] عالم زاهد، وكانت تربطه علاقة وثيقة بأحد علماء قم المقدّسة، واستمرّت هذه الصداقة بينهما إلى أن أصاب العالم القمي المرض وأشرف على الموت، وصار في إغماء شديد ممّا دعى ذويه إلى مدّ رجليه وإسبال يديه واليأس من حياته واليقين بموته.

فأخبروا صديقه العالم في اراك يعزّونه بوفاة صديقه العالم في قم ويطلبون منه مشاركته في تجهيزه وتشييعه.

---

(١) احدى المدن الايرانية.

فأجابهم عالم اراك: بأن صديقه لم يمت وتركهم.

فاتّصلوا به ثانية وأخبروه بأن صديقه قد مات وطلبوا منه التعجيل بالقدوم إلى قم للمشاركة في مراسمه.

فأجابهم ثانية: بأنه لم يمت.

فاتّصلوا به ثالثة وأخبروه بموت صديقه وأكّدوا عليه بالتعجيل في القدوم إلى قم.

وللمرّة الثالثة أصرّ عالم اراك على جوابه وقال لهم: انّ عالم قم لم يمت.

أثار هذا الإصرار من عالم اراك تعجّب المقربين منه وإنكارهم في أنفسهم عليه، ولكن بعد فترة جاءهم خبر بعكس ذلك، حيث أخبروهم بأن العالم القمي كان في حالة الإحتضار والإغماء ولم يمت، وانما كانوا هم مخطئين.

فلما تبيّن الأمر أقبل أولئك النفر الذين أنكروا في أنفسهم على عالم اراك إصراره على عدم موت صديقه العالم معتذرين وقالوا وهم يسألونه بإصرار عن مصدر اطلاعه: من أين علمتم بعدم موت صديقكم العالم؟

فأجابهم بعد امتناع شديد منه، وإصرار كثير من أُولئك: بأنّ العالم كما في الروايات إذا فارقت روحه الحياة تبكي عليه الملائكة، واني لما أُخبرتُ بموت صديقي عالم قم نظرتُ إلى السماء فلم أر

الملائكة في هذه الحالة، فأيقنتُ من انّ صديقي العالم في قم لم يمت بعد، وانما هو في حالة إغماء وغيبوبة تصوّر ذووه على اثرها انه قد مات.

نعم، هكذا يكون المؤمن الكامل.

٢٧

الفرق بين التعاملين

اليهود كما وصفهم القرآن الحكيم هم الأعداء الألدّاء للمسلمين، وقد حملهم على عدائهم هذا أُمور:

منها: جهلهم بالحقّ، ومن المعلوم ان الجاهل بشيء يتّخذ موقفاً معادياً له.

ومنها: غرورهم، والمغرور لا يذعن للحقّ.

ومنها: أنانيتهم، والأنانية لاتسمح لصاحبها قبول الحقّ، بل ولا الإستماع إلى صاحب الحقّ، لأنه يرى نفسه فوق الآخرين، فلا يأذن لنفسه أن يتنازل إلى مستواهم، ولذلك ادّعى اليهود لأنفسهم انّهم أبناء اللّه وأحبّاؤه، وانهم شعب اللّه المختار وما أشبه ذلك.

لهذه الخصال وغيرها عادى اليهود المسلمين أشدّ عداوة وكادوهم كل كيد، وتربّصوا بهم الدوائر، متغافلين حسن معاملة

الرسول ﷺ لأسلافهم يهود المدينة وأطرافها مع ما نقضوا عليه من العهود والمواثيق ومع كثرة ما غدروا به وحاربوه، ومتجاهلين اسلام أسلافهم عامة يهود الحجاز عندما أعلن الرسول ﷺ قانون الضمان الإجتماعي في الإسلام وقال ما مضمونه: من مات وترك شيئاً فلورثته، ومن ترك ديناً فعلى الحاكم الإسلامي أداءه، فلما سمع اليهود ذلك أعجبهم دين الإسلام فدخلوا فيه كما في رواية.[1]

نعم يهود اليوم تناسوا كل ذلك وتجاهلوه، فعادوا المسلمين أشدّ العداء، والقصّة التالية نموذج من عدائهم الدفين:

نقل لي أحد علماء طهران انه كان في طهران طبيب يهودي يخالط المسلمين كثيراً ويعاشرهم حتّى تعلّم كثيراً من الآيات القرآنية والروايات الدينية، وصار بحيث كان يتصوّر الكثير بأنه قد أسلم، ولذلك أصبحت له علاقات واسعة مع الناس، وحيث كان تعامله الظاهري مع الجميع بشكل حسن توهّمت حتى عائلته بإسلامه.

ولكن لما اقترب منه الأجل وأشرف على الموت جمع عياله وقال لهم: لقد غررتُ المسلمين بحسن ظاهري حتى أصبح كثير منهم يتصوّرون بأنني مسلم لأنّي كنت أقرأ كواحد من المسلمين كثيراً من آيات القرآن والروايات الدينية المعروفة عند المسلمين، ولكنكم اعلموا اني مازلت يهودياً معتقداً ومتمسّكاً بيهوديتي وسأموت

(١) حول تعامل الرسول ﷺ مع اليهود راجع كتاب «ولأول مرة في تاريخ العالم» ج١-٢ للإمام المؤلّف «دام ظله».

يهودياً، ثم اعلموا بأن ما تظاهرت به من الإسلام انما كان من أجل كسب توجّه الناس إليّ لأني في بداية حياتي اطلعت على تاريخ يهود خيبر وانتصار المسلمين بعد مقتل جمع من اليهود، فحقدتُ على المسلمين وفكرتُ في الإنتقام منهم لأسلافي، وتمهيداً لذلك عزمتُ على التظاهر بالإسلام وتقديم الخدمة للمسلمين بالتطبيب والمعالجة، حتى أتمكّن من أن أكسب ثقتهم وأنتقم منهم، وذلك بأن أقتل في مقابل كل يهودي قتل في معركة خيبر ثلاثة من المسلمين وخاصّة ممّن يدّعي انه من شيعة علي بن أبي طالب الذي على يديه تمّ فتح خيبر.

فلمّا استطعتُ عبر مجاملاتي من كسب ثقتهم وجلب توجّههم واطمئنانهم، وتقاطر عليّ المسلمون من كل مكان بدأتُ بالإنتقام منهم فكنتُ أُعالج بعضهم بأدوية ليست هي دواء مرضهم، وذلك لكي يشتدّ مرضهم، وفي النهاية وعندما يشتدّ بهم المرض كنت أصف لهم دواءاً فيه حتفهم وموتهم، وهكذا كنتُ أقضي على حياتهم دون أن يشعر بي أحد منهم، وبهذا الأسلوب تمكّنتُ من قتل أضعاف من قتل من أسلافي اليهود في معركة خيبر.

ثم التفتَ إلى عائلته وقال: اني آمركم أن تبقوا كما بقيت على اليهودية، وأن تحيوا عليها وتموتوا عليها، ثمّ مات.

ولعلّه لدفع هكذا أمور ردّ رسول اللّه ﷺ الطبيب غير المسلم

الذي أهداه إليه ملك الحبشة معتذراً بأنّنا لانمرض لانا لا نأكل طعاماً إلا ونحن نشتهي الطعام، ولا نقوم عنه إلا وعن اشتهائنا للطعام، فردّه ﷺ ليكون درساً للمسلمين بتوفير الإكتفاء الذاتي لأنفسهم أوّلاً، والحذر من غير المسلمين على أنفسهم ثانياً.

وكيف كان فإن هذه القصّة بالإضافة إلى دلالتها على جهل هذا الطبيب اليهودي بتاريخ خيبر وما جرى فيها، تدلّ على شدّة عداوته تجاه المسلمين، وذلك لأن النبي ﷺ وباعتراف من التاريخ لم يتعدّ على يهود خيبر، بل عفى عنهم ومنّ عليهم، ولكن اليهود هم الذين كانوا يتجاوزون حدودهم ويعتدون على المسلمين ممّا يضطرّ المسلمون للدفاع عن أنفسهم.

وقد سجّل التاريخ في صفحاته: بأن قتلى تلك المعركة كانوا قليلين جداً مع ان الرسول ﷺ كان بإمكانه القضاء عليهم جميعاً، وذلك بحسب دلالة بعضهم على منبع مائهم وطلبه منه قطع الماء عن خيبر، ولكنه ﷺ لم يفعل ذلك، وأبدى تذمّره من طلبه ورأيه، وبعد انتهاء الحرب عفى ﷺ عنهم وأجاز التعامل معهم وترك لهم أرضهم يزرعون فيها، وديارهم يسكنون فيها، وأموالهم يفعلون فيها ما يشاؤون، وهذه الأمور ليست مجرّد ادّعاء وانما هي أمور مشهورة في التاريخ.

بل وأكثر من ذلك فقد سجّل التاريخ زواج النبي ﷺ بصفيّة

اليهـوديّة بنت رئيس اليهـود وكبيرهـم، والتي كـانت أسيـرة بيد المسلمين، وهذا ما لايفعله أحد الرؤساء الفاتحين بأحد من الأسرى، لما فيـه من الإحترام الكبير لصفـيّة نفسهـا ولقومها وعشيـرتها، لكن الرسول ﷺ فعل ذلك حيث أطلق سـراحـهـا وتزوّجـهـا بمـوافقـتـهـا وجعلها من أُمّهات المؤمنين.[1]

وعليه : فهل يا ترى كان عـمل هذا الطبيب اليهودي بالمسلمين مع ذلك الوصف منطقيّاً يرضى به الوجـدان والضمير، ويقـرّه العقل والطبع السليـم؟! كلاّ، فإن من راجع تاريـخ خيبـر بشكل خـاص، وتاريخ اليهود بشكل عام، وعـرف معاملة الرسول ﷺ معهم، تلك المعاملة الطيّبـة التي أمر بها اللّه والإسلام ونفّذهـا رسول الإسلام ﷺ فيـهم، ولـم يكن ذا تـعـصّب وعناد، وانما كـان ذا وجـدان ونصـفـة، لآمن باللّه وبرسـول الإسـلام الذي بشّر به نـبـيّهم مـوسى كليم اللّه، ولاعتنق الإسـلام كما اعتنقـه أسلافهم حين عرفـوا الحقّ في الإسلام وعلموا انه هو ذلك الدين الذي يصدّق بموسى عليه السلام ويكمّل دينه.

---

(١)من أجل التعـرّف عـلى تاريخ خيبـر راجع كـتـاب «ولأول مـرة فـي تاريخ العـالـم» لسماحة الإمام المؤلّف.

٢٨

محك الإختبار

الصفويّون لم يكونوا علماء بل كانوا ملوكاً، ولكنهم احترموا العلماء وأكرموهم، وساروا في البلاد والعباد حسب ارشاداتهم وتوجيهاتهم، ولذلك سعدوا هم بأنفسهم، وأسعدوا الناس، ودليل ذلك هو انجازات العهد الصفوي في مجال السياسة والإقتصاد والعلم والثقافة، وما قدّمه ذلك العهد للأجيال من خدمة انسانية وثقافيّة.

وهذه من سنن اللّه تعالى في الكون، فإنّ الأُمّة إذا احترمت علماءها الربانيّين ورجال دينها الواقعيين عاشت مرفوعة الرأس سعيدة في الدنيا والآخرة، وإذا خذلتهم خُذلت، والقصّة التالية فيها بعض الإشارة إلى اهتمام الصفويّين بالعلماء وإكرامهم:

يقال: انه إبان الحكم الصفوي استدعى النظام مائة وعشرين

عـالماً من علمـاء جـبل عامل بـلبنان وطلب منهم البـقـاء في ايران من أجل نشـر الـتشـيّع وتعـميم ثـقـافـة أهل البـيت ﷺ وبـيـان الأحكام والمعـتقـدات الشيـعـية المبتنية عـلى القرآن الكريم، وسنّة الرسـول ﷺ وتعاليم أهل بيته الطاهرين ﷺ للناس وإرشادهم بالفعل والقول.

وكان من بين هؤلاء العلمـاء: الحرّ العاملي «قدس سره»، والمحقّق الكركي (المحقّق الثاني) «قدس سره» والشيخ حسين والد الشـيخ البهائي «قدس سرهما» وغيرهـم ممّن وردت أسماؤهـم في كتب التاريخ.

والطريف حسب مـا ينقل: ان الشيخ البهـائي كان صغيـر الجثّة ولم يكن له هيكل علمـائي، وحيث ان الناس غالبـاً يغرّهـم المظهـر، ولم يستـثن من ذلك حتى الملك، فكّر في كيـفية جلب التـفات الملك إليه وذلك قـبل الدخول عليه، وبينا هو يفكّر ويجـوب شوارع وأزقّة العاصـمة الصفوية اصـفهان وهو في طريقه إلى قـصر الملك، إذ وقع نظره عـلى رجل مـشـغـول بالنـدافـة فـرآه جـمـيـل الهندام، حـسن السيماء، مربوع القـامة، ذو لحية كثة بيضاء، فـتقدّم إليه وقال له: يا شيخ كم تجني من المال في كسبك خلال اليوم الواحد؟

فأجاب: بأنه كذا من المال.

فقال له الشيخ البهـائي: هل لك في الموافقة على أن تأتي معي وتصـحبني في مـهمّتي، وأعطيك أجـرك بما يساوي دخلك اليـومي، بشـرط أن لو سـألـك أحـد شيـئاً ولم تعـرف الجـواب أن تشيـر إليّ

وتقول: قل يا ولدي؟

فوافق الندّاف على ذلك، وذهبا معاً، فهيّأ الشيخ البهائي لذلك الندّاف ملابس العلماء ورجال الدين: عمامة وعباءة وقباءاً وجبّة وألبسها إيّاه، فظهر بمظهر العلماء، وسارا معاً إلى قصر الملك، حتى إذا وصلاه قدمه أمامه وسار هو خلفه ودخلا القصر، فاحترمهما الحجّاب وأدخلوهما على الملك.

رحّب بهما الملك وهو يظن ان الأول المتقدّم هو العالم، وان الثاني المتأخّر هو خادم العالم واستقبلهما وأدخلهما مجلسه، وكان المجلس غاصّاً بالشخصيات والعلماء، وبمجرّد دخولهما المجلس قام الجميع احتراماً لهما وفسحوا المكان من أجلهما، فسلّما على الجميع واتّخذا مجلسهما بين سائر العلماء.

ثم عمّ المجلس هدو عقبه بعد ذلك طرح بعض المسائل العلمية ودارت حوله بحوث ونقاشات، فتوجّه الجميع إلى هذا العالم الجديد وطالبوه أن يدلي برأيه، فارتبك الذي كان بمظهر العالم وتوجّه إلى الشيخ البهائي ولكنه من شدّة ارتباكه بدل أن يقول له: قل يا ولدي، قال له: كُل يا ولدي أو فُل يا ولدي.

فأجاب الشيخ البهائي بما أعجب الحاضرين والملك أيضاً يستمع إليه.

فطرحوا عليه سؤالاً وسؤالاً وفي كلّ مرّة منها كان الشيخ

البهائي هو الذي يبدي رأيه ويجيب على السؤال حتى أحسّ الملك بأنّ هذا الذي في مظهر العالم لم يكن عالماً، وان العالم هو ذلك الذي لا مظهر له، ومن أجل أن يتحقّق في الأمر حتّى يعرف صدق حدسه من خطأه فكّر في أخذ العلماء إلى عمارة جديدة وقصر كبير كان بجنب ذلك القصر ويستشيرهم في خصوص القاعة الكبيرة التي كانت تتوسّط ذلك القصر.

فلما انتهى بهم إلى القاعة وسألهم مستشيراً عنها قائلاً: في رأيكم لأيّ شيء تفيد هذه القاعة؟

فأجابه أحدهم: بأنّه هذه القاعة تفيد لإجراء المؤتمرات الضخمة.

وأجاب آخر: بأنها تفيد لجعلها مكتبة عامة يرتادها الباحثون.

وقال ثالث: بأنها تفيد لاستضافة الوافدين على الملك، حتى إذا وصل الدور إلى ذلك الذي في مظهر العالم التفت إليه الملك وسأله عن رأيه؟

فألقى نظرة إلى الأطراف ثم تنحنح وقال: انّ هذه القاعة تصلح بنظري لأن تكون قاعة للندافة.

فضحك الملك واطمأنّ بصحّة حدسه، حيث كان قد حدس بأن صاحب المظهر العلمائي لم يكن هو العالم، وانما العالم هو ذلك الذي لا مظهر له، فلم يقل الملك له شيئاً حتى انتهى المجلس

واختتمت الضيافة وذهب الجميع إلى منازلهم، وبعد ذلك بعث الملك إلى الشيخ البهائي «قدس سره» من يخبره بأنه قد اكتشف من خلال اختباره انه هو العالم الحقيقي وانه اكتشف أمر النداّف.

إذن : حقيقة الإنسان وواقعيّته لاتنكشف من خلال ظاهره وهيكله، أو عبر التصورّ والإدّعاء، بل الإنسان الواقعي هو من يكشفه الإختبار وهو من لا يهان عند الإمتحان، وذلك حسب قول الشاعر:

انّ من يدّعي الّذي ليس فيه   كذّبته شواهد الإمتحان

نعم، ان من يدّعي خلاف ما عنده سينكشف أمره للناس حتى وإن لم يعمل إلا بالايماء والإشارة ولم يتفوّه بكلمة واحدة، فإنه سينفضح أخيراً لا محالة. ولعله لذلك جاء في الحديث الشريف: « طوبى لمن عرف قدره ولم يتعدَ طوره » .

٢٩

محبوب الجماهير

جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها [1] علماً بأنه لا إحسان أكبر من الإحسان إلى الجانب الروحي من الإنسان، فرجل الدين الواقعي والعالم المتّقي يحسن إلى المجتمع الإنساني بما يسديه إليهم من خدمات معنوية ويقدمه إليهم من ارشادات دينيّة وتوجيهات انسانية، ولذلك نرى العالم المتّقي محبوب الجماهير.

ومن أولئك المحبوبين هو آية اللّه الأردكاني «قدس سره» الذي كان من معاصري شيخنا الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري «قدس سرّه» وكان من العلماء الأبرار، والأجلاّء الأوفياء، وكان أثناء تواجد الشيخ في النجف الأشرف متواجداً هو في كربلاء المقدّسة ومشتغلاً بالتدريس، وبتربية الطلاّب وتخريج العلماء الفطاحل من أمثال

---

(١) بحار الانوار: ج ٧٧ ص ١٤٢ ح ١ .

السيد محمد حسين الشهرستاني «قدس سره» الذي كان من أهمّ علماء وقته، وأوحديّ رجال عصره.

وكان الشهرستاني هذا قد سافر في إبان شبابه سفرات عديدة إلى ايران وغيرها من البلاد الإسلامية، ومن جملتها انه سافر إلى افغانستان، وعند دخوله إلى كابل استقبله عالم كابل الكبير واحترمه احتراماً كثيراً، ثم اصطحبه معه إلى منزله واستضافه عنده في بيته وألقى عليه مجموعة من الأسئلة حول علم الصرف وعلم النحو، وعلم البلاغة والحساب والمنطق والكلام والأصول والفقه وغير ذلك، وكان السيّد يجيبه على أسئلته بلباقة فائقة وإتقان كامل، لأنه كان قد أتقن دروسه وأحكم في نفسه فهمها.

وكان العالم الكابلي أيضاً يعرف العلوم المتنوّعة ويتقنها، فلما رأى تفوّق السيّد في ذلك كلّه عليه قام من مجلسه وأصرّ على السيّد أن يجلس مكانه وأخبر الناس بأنّ السيّد مادام هو موجوداً في كابل فعليهم أن يرجعوا إليه في مسائلهم وحلّ مشاكلهم، ثم قدمه للصلاة واقتدى به، مع انه كان شيخ العلماء في كابل، وأصبح السيّد لتقواه وعلميّته خلال تواجده في كابل محبوباً للجميع ومرجعاً لمسائل الناس، وملجأً لحل مشاكلهم، واماماً لمسجدهم يعتقد به الكلّ ويقتدي به الجميع بمن فيهم عالم كابل.

إذن فالعالم المخلص مع ربّه، والمتقن لدروسه، والمتّقي في

أُموره، والمتحلّي بالتواضع والتسامح، وبمداراة الناس ومواساتهم، يهواه الجميع، ويودّه الناس، فهو محبوب الجماهير، لأنّها ترى نفسها مدينة لإحسانه وخدماته العلمية والمعنويّة، وسيعطيه اللّه تعالى أجره في الدنيا قبل الآخرة.

٣٠

حسن الإدارة

العبّاسية منطقة تقع بالقرب من مدينة الحلّة بالعراق، وقيل انها كانت مقرّ حكومة العباسيّين في فترة من الزمان، ولكن تغيّرت بمرور الأيّام إلى أن أصبحت أخيراً قرية صغيرة وناحية تابعة للحلّة.

وكان مدير تلك الناحية ابّان مرجعية المرحوم آية اللّه العظمى السيد أبوالحسن الاصفهاني «قدس سره» رجلاً سنيّاً متعصّباً يؤذي الشيعة بلا دليل، فأخبروا السيّد المرجع بالأمر وأرادوا منه أن يطالب الوزير بنقل هذا المدير إلى منطقة أُخرى.

ولكن السيد أبوالحسن الاصفهاني الذي كان مديراً ومدبّراً لم يفعل ذلك، وانما أرسل إلى أحد وكلائه في الحلّة وهو على الظاهر: المرحوم السيد محمد السماتي والذي كان هو أيضاً مديراً ومدبّراً، (وقد رأيته أيام حياته وتعرّفت عليه من قريب)، فأرسل إليه وطلب

منه أن يأتي بمدير تلك الناحية إليه.

فجاء الوكيل إلى العباسية ولاقى احتراماً فائقاً من أهالي تلك الناحية، ثم التقى بمدير المنطقة وقال له: ان السيّد أبوالحسن الاصفهاني يحبّ زيارتك ويريد اللّقاء بك.

فامتنع أوّلاً من الإجابة متعلّلاً بأنه من مذهب سنّي والسيّد مرجع شيعي ولا علاقة له به، ولكن أخيراً وافق أن يلتقي بالسيّد أبوالحسن في مناسبة مقبلة.

فلمّا حان الوقت وجاء إلى السيّد أبوالحسن رحّب به السيّد كثيراً وأجلسه عنده يتفقّد أحواله ويسأله عن أموره وهو يقوله له: انك مدير ناحية، والناس يتوقّعون منك المساعدة، وطبيعي أن يكون باب دارك مفتوحاً للناس فما هو راتبك الشهري؟

أجاب قائلاً: ثمانية عشر ديناراً.

فقال له السيّد: ان هذا بالنسبة إليك قليل جداً.

فأجاب : ان هذا هو مرتب الدولة المخصّص لي.

فقام السيّد أبوالحسن وأخذ من الدنانير ثمانية عشر ديناراً وقدّمها إليه بتواضع وقال له: هذا راتبك منّي في هذا الشهر، وفي الشهور القادمة سأخبر وكيلي في الحلّة بتقديم هذا المبلغ إليك في كلّ شهر وذلك لكي تلبّي حاجات الناس وترضي مراجعيك.

فبان الخجل على وجه المدير وشكر السيّد كثيراً على تفضّله،

وعاد إلى العباسية ناحية حكمه وجمع أقربائه وقال لهم: انه قد تبيّن لي ان التشيّع هو المذهب الحقّ، واني أُخبركم وأُشهدكم على اني دخلتُ في التشيّع وأُريد منكم أن تدخلوا أنتم أيضاً في التشيّع.

فتشيّع جمع من أهالي تلك المنطقة بتشيّعهم وقد تحسّن سلوك المدير تجاه الشيعة بشكل كبير.

وكلّ ذلك من آثار تدبير السيّد أبو الحسن الاصفهاني رحمة اللّه عليه وسعة صدره وبعد نظره في التعامل مع الناس وجمع كلمتهم على التقوى.

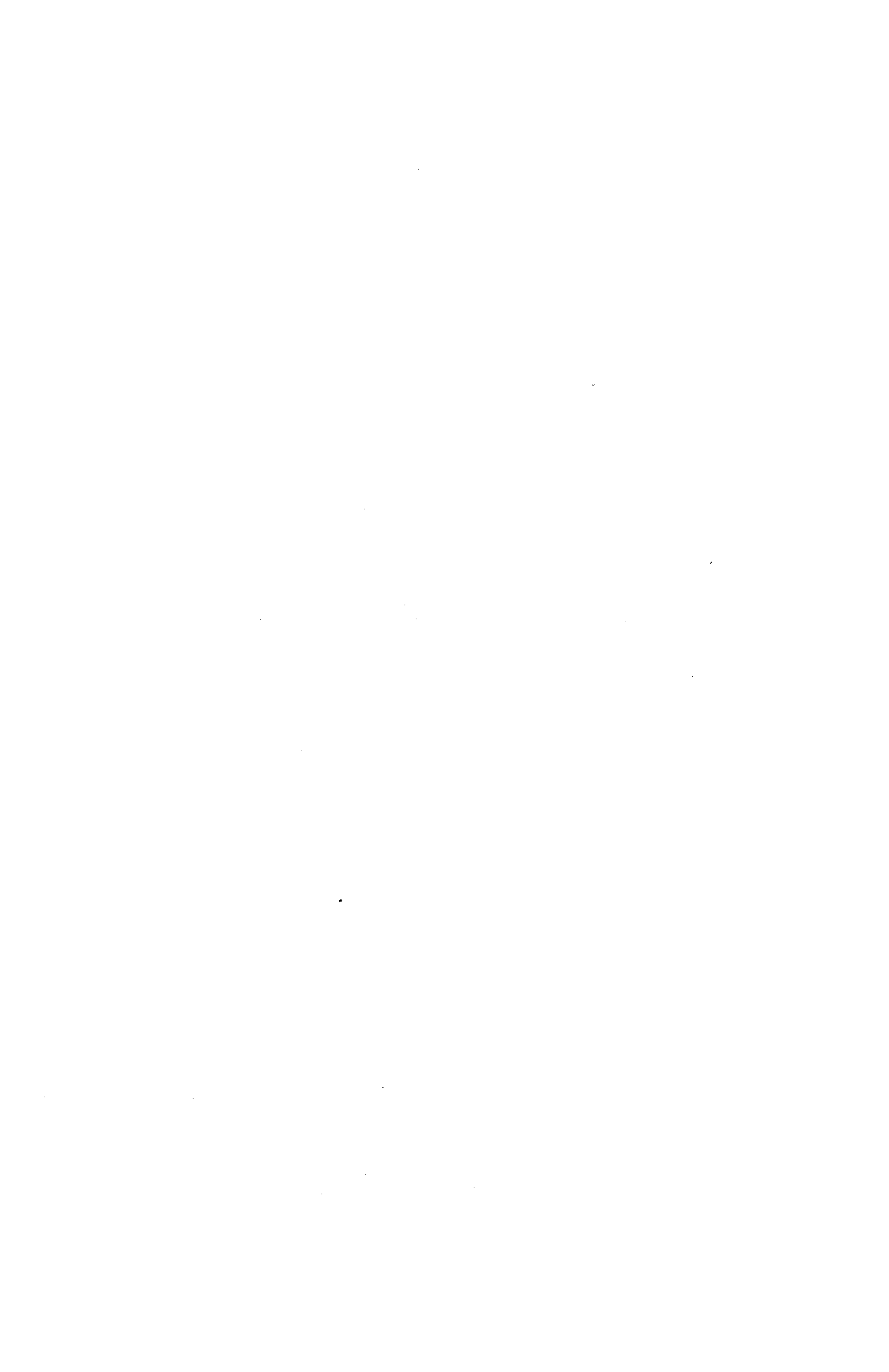
خاتمة

وهذا آخر ما أردنا ايراده في هذا الكتاب.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي



الفهرس

من تأليفات الإمام الشيرازي «دام ظله»

* ولأول مرة في تاريخ العالم ٢ ج
* الفقه: القانون
* الفقه: آداب المال
* من فقه الزهراء عليها السلام ٥ ج
* الفقه : العقل
* العلماء أُسوة وقدوة
* من القانون الإسلامي في المال والعمل
* إلى إخواني في باكستان والهند وافغانستان
* منتخب المسائل الإسلامية
* من قصص المستبدّين
* تبيين القرآن
* البلاغة
* إلى الكتّاب الإسلاميّين
* ثقافة التحرير

* حياتنا قبل نصف قرن
* لنبدأ من جديد
* سقوط بعد سقوط
* العائلة
* نظام الحوزات العلمية في العراق
* الغرب يتغيّر
* التجارب والعبر
* الأمراض والاعراض
* لماذا تأخّر المسلمون؟
* إذا قام الإسلام في العراق
* الكسب النزيه
* أجوبة المسائل المالكية
* الجنّة والنار في القرآن



﴿ لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِأولِي الألبابِ ماكانَ حَدِيثاً يُفتَرى ولكِن تَصدِيقَ الذي بَينَ يَدَيهِ وتَفصِيلَ كُلِّ شيءٍ وهُدًى ورحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنون ﴾ - يوسف ١١١ -

❀ ❀ ❀

﴿ يَرفَعِ اللّهُ الذينَ ءامَنُوا مِنكُم والذينَ أوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ واللّهُ بِما تَعمَلونَ خَبير ﴾ - المجادلة ١١ -

❀ ❀ ❀

﴿ إنَّما يَخشَى اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾ - فاطر ٢٨ -

❀ ❀ ❀

﴿ قُل هَل يَستَوِي الذينَ يَعلَمونَ والذين لايَعلَمون إنَّما يَتَذَكَّر أولو الألباب ﴾

أحاديث في فضل العلماء

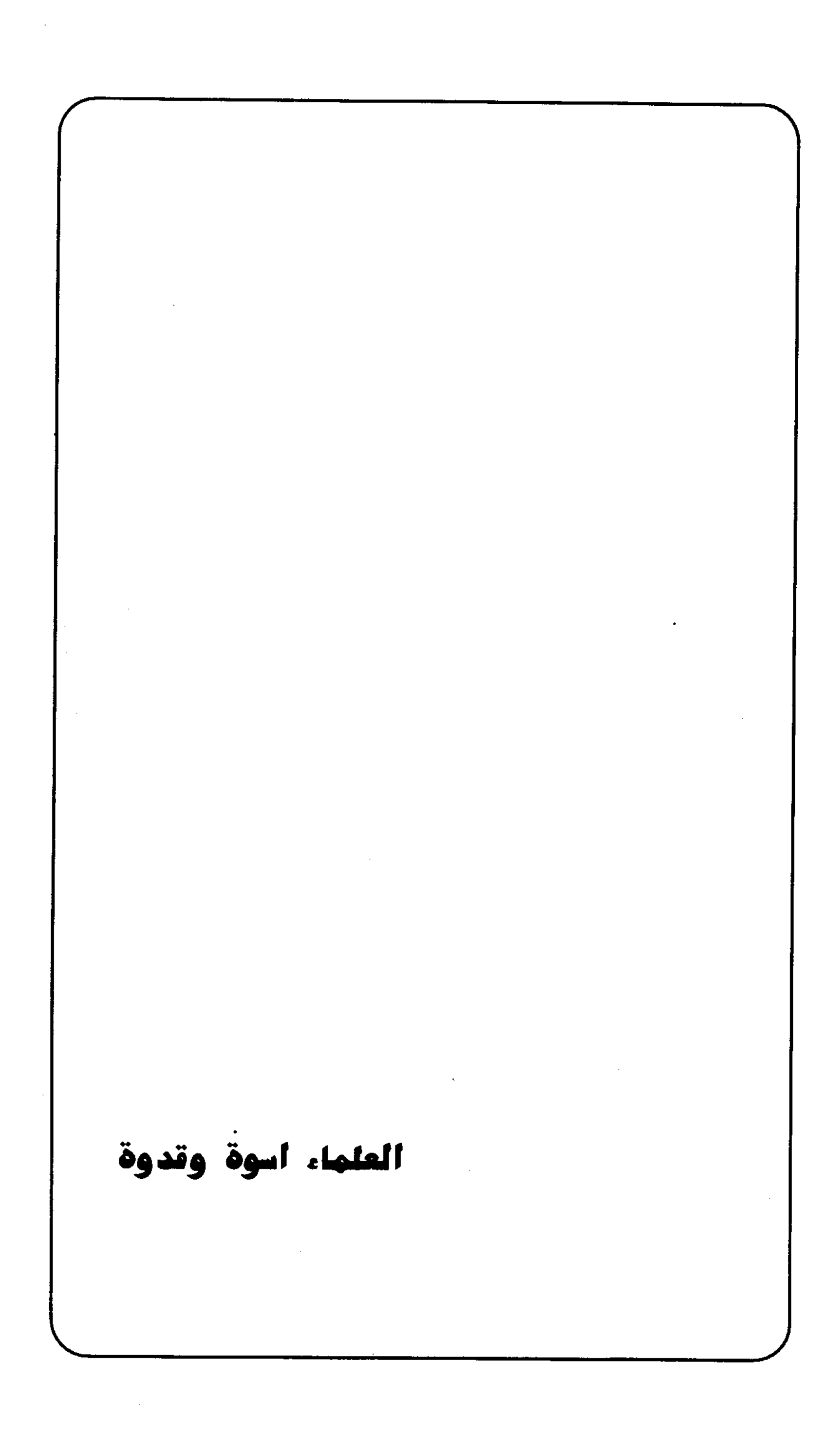
★ عن الإمام الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء . [البحار ١١٤/٢]

❁ ❁ ❁

★ من وصية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل يقول : ياكميل ، مات خزّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون مابقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة . [البحار ٧٦/٧٨]



★ سُئِل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى (أوَلَم يَرَوا أنّا نَأتي الأرضَ نَنقُصَها من أطرافِها) ؟ ، فقال : فَقدُ العلماء . [من لايحضره الفقيه ١١٨/١]



العلماء اسوة وقدوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم ★

الحَمدُ للهِ رب العالَمين ★ الرَحمنِ الرحيم ★

مـالِكِ يـومِ الدين ★ إيّاكَ نَعبُدُ وإيّاكَ نَستَعين ★

إهدِنـــا الصِــراطَ المُستَقيـــم ★ صِـــــراطَ

الـــذينَ أنعَمــــتَ عَليهـــم غَيرِ المَغضوبِ

عَلَيهِـــم والضـــالين ★